أخبار الجنة والنار

وطريق المؤمنين والكفار
من تفسير الإمام الحافظ ابن كثير
(٧٠١ - ٧٧٤هـ)

إعداد: نشأت المصري

المختار الإسلامي
للطبع والنشر والتوزيع
١٦ شارع كامل صدقي بالفجالة
القاهرة ت ٩١١٣٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى الروح التى حركت قلمى فعاش نسيم الجنة ولفح النار

نشأت المصرى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

منهج الكتاب :

الجنة والنار قضية حياة كل الناس ،إنس وجن ، وما من إنسان إلا ويتطلع إلى النجاة من دار الفناء والفوز بنعيم الجنة ، ومهما كان الإنسان ضالعا فى الشر فإن نفسه تهفو إلى النجاة وتجذبه الرغبة فى التوبة أملا فى رحمة الله الواسعة .

وبالدعاء وبالعمل الصالح نلجأ إلى الخالق الكريم نتوسل إليه أن نكون من القوم الفائزين .

ولاشك أن رؤية مشاهد الجنة ومشاهد النار بالخاطر والتخيل تضاعف من حرصنا على أن نكون من أهل اليمين .

وحول الجنة والنار نزلت آيات ودارت أحاديث نبوية وقيلت روايات تتراوح وروايات تتوازن بين الترهيب والترغيب .

وهذا الكتاب « أخبار الجنة والنار » يذكرٌ بالطريق الذى رسمه لنا

القرآن الكريم لبلوغ رضاء الله سبحانه لنمعن السعى فيه ويذكرٌ بطريق الهالكين لتفر منه ، وبعد ذلك نطل من خلال الآيات والأحاديث والروايات على عالمى الجنة والنار ليصل بنا تأملها إلى ما فوق حدود الدهشة والتعجب .

وقد آثرت أن يتم ذلك عن طريق مصدر واحد هو كتاب « تفسير القرآن العظيم » للحافظ بين كثير لما رأيته فى هذا التفسير من إحاطة كبيرة بجوانب هذا الموضوع تجمع بين حديث السابقين من الرواة والمفسرين – خاصة الإمام الطبرى – وبين رأى ابن كثير الذى يكتفى فى مناسبات عديدة بماورد عن غيره

وحتى أستخلص موضوع كتابنا من كتاب تفسير ابن كثير الضخم لجأت إلى ما يلى :

الإلتزام بالتفسير الذى عقب به ابن كثير على الآيات والأحاديث وأقوال السابقين – إن وجد هذا التعقيب – دون تدخل منى بالحذف أو الإضافة فيما عدا بعض فقرات الربط الضرورية لتحقيق تسلسل الموضوعات وفقا للترتيب الجديد الذى قمت به ، وقد تم وضع هذه الفقرات المضافة بين القوسين [ ] وكذلك الفقرات الأخرى التى ليس مصدرها تفسير القرآن العظيم .

ثم ترتيب الموضوعات بحيث يكتمل تسلسلها كما تم وضع عناوين

فرعيه ملائمة تسهيلا للقارئ وحاولت فى وضع عنوان الكتاب (أخبار الجنة والنار) أن يتلاءم مع مضمونه .

اضطررت فى شروح الأيات إلى إسقاط بعض ماورد من تفسيرات وأقوال الأخرين لمنع التكرار فى المضمون .

فيما يختص بالعنعنات الواردة فى مقدمة الأحاديث النبوية إكتفيت بذكر اسم الراوى وأول المحدثين :

الطبعة التى اعتمدت عليها من تفسير القرآن العظيم هى طبعة كتاب الشعب :

لجأت فى تفسير الكلمات الصعبة إلى لسان العرب وتفسير الطبرى .

لم أتطرق إلى ما جاء فى خصوص الجنة والنار على الأرض بمعنى أن المراد هنا هو دار الجزاء التى لا تكون إلا بعد الموت فلم نشر إلى الآيات التى تتحدث عن جنات الدنيا والتى تجدها فى مثل قوله تعالى « إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة » – القلم ١٧ – كما أن المراد هو دار العقوبة الأخروية فلم تدرج الآيات التى تتحدث عن النار فى معنى آخر مثل قوله تعالى« أفرأيتم النار التى تورُون » – الواقعة ٧١ –

– تمت الإستعانة فى بعض الهوامش ببعض ما جاء فى كتابىّ حادى الأرواح فى بلاد الأفراح لأبن قيم الجوزية ، والتخويف من النار لأبن رجب الحنبلى .

– فى عرض الفصل الخاص بطريق أصحاب الجنه لم أجد حاجة لعنونة الفقرات فاقتصرت على ذكر الآيات وتفسيرها متتابعة لأتصال المعنى العام ووضوحه ، وكذلك الأمر فى فصل طريق أصحاب النار

– وردت بعض الروايات والأخبار عن الجنة والنار منسوبة إلى أصحابها – وهى ليست من الأحاديث النبوية – ولاغبار على ذلك مادام يسهم فى تحقيق الغاية المرجوة وهو محاولة تصوير عالمى الجنة والنار لتقريبهما إلى الأذهان خاصة وأن ذلك لا يترتب عليه أحكام فقهية أو نحو ذلك ، بل إن الصورة الأدبية أحيانا تدلى بدلوها فى هذا المجال وتكون مقبولة على أساس « « القصد منها »

ترجمة المؤلف وآثاره :

هو اسماعيل بن عمر عماد الدين أبو الفداء بن الخطيب القرشي البُصْروى الشافعى : وهو مؤرخ عربى ولد عام ٧٠١هـ (١٣٠١م (فى دمشق ودرس فيها الحديث ولقى من الإضطهاد مثل مالقى استاذه الحنبلى المشهور تقى الدين ابن تيمية[1] . وابن كثير سلفى فى كتاباته وسنىّ فى نزعته وقال عنه الحافظ شمس الدين الذهبى – وكان من أساتذة ابن كثير « الإمام المفتى المحدث البارع ، فقيه المتن ، ومفسر نقال ، وله تصانيف مفيدة » . وقد انتهت إليه رئاسة العلم فى التاريخ و الحديث والتفسير.

ومن مؤلفاته : البداية والنهاية شرح – صحيح البخارى (ولم يكتمل) – أحكام التبيين – الإجتهاد فى طلب الجهاد – جامع المسانيد – الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث – طبقات الشافعية – مسند الشيخين) أبى بكر

(١) دائرة المعارف الإسلامية – كتاب الشعب

وعمر) – وتفسيرالقرآن العظيم – والتكميل فى معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل .

وفاته :

يقول المؤرخ ابن تغرى الأتابكى الظاهرى (٨١٢ – ٨٧٤) فى كتابه المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى) يقول : توفى ابن كثير فى يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان سنة أربع وسبعين [فبراير ١٣٧٣م] عن أربع وسبعين سنة »

وقد تم دفنه بجوار معلمه ابن تيميه بناء على وصيته رحمه الله وإيانا وإياكم .

نشأت المصرى

٣٣ شارع الشيخ البابلى حدائق القبة

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول
الجنة وأصحابها

١ – طريق أصحاب الجنة

يقول تعالى :(**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم ، تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم**)[١]

هنا إخبار عن حال السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ، وإمتثلوا ما أمروا ، فعملوا الصالحات ، بأنه سيهديهم بإيمانهم وقال ابن جُرَيج فى الآية ! يمثُل[٢] له عمله فى صورة حسنة وريح طيبة إذا قام من قبره ، يعارض صاحبه ويبشره بكل خير ، فيقول له من أنت ؟ فيقول : أنا عملك . فيجعل له نورا من بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله (يهديهم ربهم بإيمانهم)[٣]

ويقول تعالى :(**الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم**)

---

(١) يونس ٩

(٢) يمثل : يظهر

(٣) تفسير الطبرى ، ١٥/٢٨

ذكر تعالى صفة أهل الجنة فقال الذين ينفقون فى السراء والضراء أى فى الشدة والرخاء والصحة والمرض وفى جميع الأحوال . . كما قال (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) والمعنى انهم لا يشغلهم أمر عن طاعة الله تعالى والإنفاق فى مرضاته والإحسان إلى خلقه من قراباتهم وغيرهم بأنواع البر . (وفى أموالهم حق للسائل والمحروم)[1] ، والسائل هو الذى يبتدئ بالسؤال وله حق ، قال رسول الله ﷺ « للسائل حق وإن جاء على فرس »[2]

وقوله تعالى (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) فإذا ثار بهم الغيظ كتموه وعفوا عمن أساء إليهم ، فلا يعملون غضبهم فى الناس ويحتسبون ذلك عند الله عز وجل ، ومع كف الشر يعفون عمن ظلمهم فى أنفسهم فلا يبقى فى أنفسهم غضب على أحد ، وهذا أكمل الأحوال ، ولهذا قال : « والله يحب المحسنين »فهذا من مقامات الإحسان. .
وقوله تعالى (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) فإذا صدر منهم ذنب اتبعوه بالتوبة والاستغفار .

ويقول تعالى : (**لكن الذين اتَّقَوْا رَبَّهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نُزُلاً من عند الله وما عند الله خيرٌ للأبرار**)[3] .

---

(١) الذاريات ١٩
(٢) رواه أحمد وأبو داود
(٣) آل عمران ١٩٨

نزلا أى ضيافة من عند الله أما الأبرار ، فقد سماهم الله أبراراً ؛ لأنهم بروا الآباء والأبناء ، كما أن لوالديك عليك حقا ، كذلك لولدك عليك حق وهذا أشبه والله أعلم .

ويقول تعالى : (تلك حدودُ الله ومن يُطع الله ورسوله يُدْخِلْهُ جناتٍ تجرى من تحتها الأنهارُ خالدين فيها وذلك الفوزُ العظيم) (١)

أى : هذه الفرائض والمقادير التى جعلها الله للورثة بحسب قربهم من الميت وإحتياجهم إليه وفقدهم له عند عدمه ، هى حدود الله فلا تعتدوها ولا تتجاوزها ولهذا قال (ومن يطع الله ورسوله) . أى : فيها فلم يزد بعض الورثة ولم ينقص بعضها بحيلة ووسيلة ، بل تركهم على حكم الله وفريضته وقسمته .

ويقول النبى عليه الصلاة والسلام« خذوا عنى ، خذوا عنى ، قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم (٢)

ويقول تعالى : « قال الله هذا يومُ ينفع الصادقين صدقهم . . . . » (٣)

---

(١) النساء ١٣

٢)رواه مسلم وأصحاب السنن

(٣) المائدة ١١٩

يقول تعالى مجيبا لعبده ورسوله عيسى بن مريم ، فيا أنهاه إليه من التّبري[1] من النصارى الملحدين ، الكاذبين على الله وعلى رسوله ، ومن رد المشيئة فيهم إلى ربه عز وجل ، فعند ذلك يقول تعالى : (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) قال الضحاك ، عن ابن عباس يقول : يوم ينفع الموحدين توحيدهم .

ويقول تعالى : (الذين آمنوا وهاجروو جاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون)[2]

عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية(. . . . فخير الله الإيمان والجهاد مع نبى الله ﷺ على عمارة المشركين البيت وقيامهم بالسقاية ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به أن كانوا يعمرون بيته ويخدمونه . **ويقول تعالى :**

(لكن الرسول والذين آمنو معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون)[3] لماذا ذكر تعالى المنافقين بيّن ثناء المؤمنين ، ومالهم فى آخرتهم .

ويقول تعالى : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه . . .) يخبر تعالى عن

---

(١) التبرؤ : يكون بريئا من تهمهم وذنوبهم .

(٢) التوبه ٢٠

(٣) التوبه ٨٨

رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين له بإحسان ، ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم ،المقيم .

ويقول تعالى : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرْهق وجوههم قتر ولا ذِلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) . [٥] يخبر تعالى أن لمن أحس العمل فى الدنيا والعمل الصالح أبدله الحسنى فى الدار الآخرة ، كما قال تعالى : هل جزاء الإحسان إلا الإحسان وقوله (وزيادة) هى تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وزيادة على ذلك ، ويشمل ما يعطيهم الله فى الجنان من القصور والحور والرضا عنهم ، وما أخفاه لهم من قرة أعين ، وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم ، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه ، لا يستحقونها بعملهم ، بل بفضله وبرحمته ، وقد وردت فى ذلك أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ . وقوله تعالى : (ولا يرهق وجوههم قتر) ، أى قتام وسواد فى عَرَصَات المحشر ، كما يعترى[٢] وجوه الكفرة الفجرة من القَتْرة والغُبْره [٣] ، (ولا ذلة) أى : هوان وصغار ، أى : لا يحصل لهم إهانة فى الباطن ، ولا فى الظاهر .

---

(١) يونس ٢٦
(٢) يعترى : يلم به ويصيب
(٣) الغبرة : لون الغبار

ويقول تعالى : (الذين يُوفُون بعهد الله ولا ينقُضُون الميثاق ، والذين يَصِلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشوْن ربهم ويخافون سوء الحساب ، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار) .[1]

يقول تعالى مخبرا عمن اتصف بهذه الصفات الحميدة بأن لهم (عقبى الدار)وهى العاقبة والنصرة فى الدنيا والآخرة .(الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) ، وليسوا كالمنافقين الذين إذا عاهد حدهم غدر ، وإذا خاصم فجر ، وإذا حدَّث كذب ، وإذا إئتمن خان . (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) ، من صلة الأرحام والإحسان إليهم وإلى الفقراء والمحتاجين ، وبذل المعروف ، (ويخشون ربهم) ، أى : فيما يأتون وما يذرون من الأعمال ، يراقبون الله فى ذلك ، ويخافون سوء الحساب فى الدار الآخرة ، فلهذا أمرهم الله بالسداد والإستقامة فى جميع حركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم القاصرة والمتعدية .

(والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم) ، أى : عن المحارم والمآثم ففطموا انفسهم عن ذلك لله ز وجل إبتغاء مرضاته وجزيل ثوابه (وأقاموا الصلاة) بحدودها ومواقيتها وركوعها وسجودها وخشوعها على الوجه الشرعي المرضى (وأنفقوا مما رزقناهم) ، أى على الذين يجب عليهم

---

(١) الرعد ٢٠/٢٢

الإنفاق لهم من زوجات وأقارب وأجانب ، من فقراء ومحاويج[1] ومساكن ، (سرا وعلانية) ، أى : فى السر والعلن ، لم يمنعهم من ذلك حال من الأحوال ، فى آناء الليل وأطراف النهار ، (ويدرءون بالحسنة السيئة) ، أى يدفعون القبيح بالحسن ، فإذا آذاهم أحد قابلوه بالجميل صبرا واحتمالا وصفحا وعفوا . .

ويقول تعالى : (**قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو مُعرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفِردوس هم فيها خالدون**)قال رسول الله ﷺ : لقد أنزلت علىّ عشر آيات ، من أقامهن ، دخل الجنة ، ثم قرأ : (قد أفلح المؤمنون) حتى ختم العشر[2]

وقوله تعالى (قد أفلح المؤمنون) أى : قد فازو وأُسعِدوا وحصلوا على الفلاح ، وهم المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف (الذين هم فى صلاتهم خاشعون) الخشوع فى الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها ، واشتغل بها عما

---

(١)محاوج : محتاجين

(٢) رواه أحمد والترمذى والنسائى

عداها ، وآثرها على غيرها ، وحينئذٍ تكون راحة له وقرة عين .

وقوله (والذين هم للزكاة فاعلون) – الأكثرون على أن المراد بالزكاة هاهنا زكاة الأموال ، وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة هاهنا زكاة النفس من الشرك والدنس ، وقد يحتمل أن يكون كلا الأمرين مرادا وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال فإنه من جملة زكاة النفوس ، والمؤمن الكامل هو الذى يفعل هذا وهذا ، والله أعلم .

وقوله (والذين هم لفروجهم حافظون .)أى : والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام ، فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا أو لواط ولا يقربون سوى أزواجهم التى أحلها الله لهم ، وما ملكت أيمانهم من السرارى ،ومن فعل ما أحل الله له فلا لوم عليه ولا حرج .

وقوله : (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون): أى إذا اؤتمنوا لم يخونوا ، بل يؤدونه إلى أهلها ، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك ، لا كصفات المنافقين الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان[1]

وقوله : (والذين هم على صلواتهم يحافظون) ، أى : يواظبون عليها فى مواقيت[كما قال ابن مسعود ! سألت النبى ﷺ فقلت : يا رسول

---

(١) رواه البخارى ومسلم

الله ، أى العمل أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها . قلت : ثم أى ؟ قال : بُر الوالدين : قلت ثم أى ؟قال : الجهاد فى سبيل الله[1]

وقد افتتح الله ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاة ، واختتمها بالصلاة ، فدل على أفضليتها ، ولما وصفهم تعالى بهذه الصفات الحميدة والأفعال الرشيدة قال : الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) وثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس ، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ، ومنه تَتَفَجّر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن .

وقال ﷺ[2] ما منكم من أحد إلا وله منزلان : منزل فى الجنة ومنزل فى النار ، فإن مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله ، فذلك قوله : (أولئك هم الوارثون)وقال بعض السلف : لا يسمى البستان فردوسا إلا إذا كان فيه عنب فالله تعالى أعلم .

يقول تعالى : (إنكم لذائقو العذاب الأليم ، وماتُجزوْن إلا ماكنتم تعملون) : ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين ولهذا قال هاهنا : (إلا عباد الله المخلصين [3] أى ليسوا يذوقون العذاب الأليم ، ولا يناقشون فى

---

(١) أخرج فى الصحيحين

(٢) رواه ابن ماجه عن أبى هريرة فى سننه

(٣) الصافات ٤٠

الحساب ، بل يتجاوز عن سيئاتهم ، إن كان لهم سيئات ، ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، إلى ما يشاء الله من التضعيف .

ويقول تعالى : (**وأُزلفت الجنة للمتقين غير بعيد ، هذا ما توعدون لكل أوّابٍ حفيظ ، من خَشِيَ الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب**)[1]

(هذا ما توعدون لكل أواب) ، أى : رجاع تائب مقلع ، حفيظ أى : يحفظ العهد فلا ينقضه وينكثه

(من خشى الرحمن بالغيب) ، أى : من خاف الله فى سره حيث لا يراه أحد إلا الله

(وجاء بقلب منيب) ، أى : ولقى الله يوم القيامة بقلب سليم منيب إليه خاضع لديه

ويقول تعالى : (**ولمن خاف مقام ربه جنتان**)[2]

إن هذه الآية عامة كما قال ابن عباس وغيره ، **يقول تعالى** : **ولمن خاف مقامه بين يدى الله عز وجل يوم القيامة** ،(ونهى النفس عن الهوى) ، ولم يطْغَ ولا آثر الحياة الدنيا ، وعلم أن الآخرة خير وأبقى ،

(١) ق ٣٠-٣٣

فأدى فرائض الله ، واجتنب محارمه فله يوم القيامة عند ربه جنتان كما قال البخارى رحمه الله : إن رسول الله ﷺ قال « جنتان من فضة ، آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن .

وهذه الأية عامة فى الإنس والجن ، فهى أدل دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا ، ولهذا امتن الله تعالى على الثقلين[1] بهذا الجزاء فقال : ((ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان))

ويقول تعالى (والسابقون السابقون ، أولئك المقربون ، فى جنات النعيم[2]

إن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا ، كما قال تعالى : (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض)[3]

فمن سابق فى هذه الدنيا وسارع إلى الخير ، كان فى الآخرة من السابقين إلى الكرامة ، فإن الجزاء من جنس العمل ، وكما تدين تدان . ولهذا قال تعالى : (أولئك المقربون . فى جنات النعيم) .

---

(١) الثقلان : الأنس والجن كما جاء فى الصحيح

(٢) الواقعة ٩ - ١٢

(٣) آل عمران ١٣٣

ويقول تعالى : (فأما من أوتى كتابهَ بيمينه فيقول هاؤمُ اقرأوا كتابيه) . [1]

يخبر تعالى عن سعادة من أوتى كتابه يوم القيامه بيمينه ، وفرحه بذلك ، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه : (اقرأوا كتابيه) ، أى : خذوا اقرأوا كتابيه ، لأنه يعلم أن الذى فيه خير وحسنات محضة ، لأنه ممن بدّل الله سيئاته حسنات . و« هاؤم » الظاهر أنها بمعنى هاكم .

وقال تعالى : (ياأيتها النفس المطمئنة ، ارجعى إلى ربك راضيةً مرضية ، فادخلى فى عبادى ، وادخلى جنتى) [2]

إن النفس الزكية المطمئنة وهى الساكنة الثابته الدائرة مع الحق يقال لها : (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك) ، أى : إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده فى جنته . . وهذا يقال لها عند الاختصار ، وفى يوم القيامة أيضا ، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره ، وكذلك ها هنا

وقد ذكر الحافظ الهروى فى كتاب العجائب عن قُبَاث بن رزين أبى هاشم قال : أُسِرتُ فى بلاد الروم ، فجمعنا الملك وعرض علينا دينه ، على أن من امتنع ضربت عنقه ، فارتد ثلاثة ، وجاء الرابع فامتنع ،

---

(١) الحاقة ١٩

(٢) الفجر ٢٧ - ٣٠

فضربت عنقه ، وألقى رأسه فى نهر هناك ، فرسب فى الماء ثم طفا على وجه الماء ، ونظر إلى أولئك الثلاثة فقال : يافلان ، ويافلان ، ويافلان - يناديهم بأسمائهم قال الله تعالى فى كتابه(يا أيتها النفس المطمئنة . ارجعى إلى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى)

ثم غاص فى الماء ، فكادت النصارى أن يسلموا ، ووقع سرير الملك ، ورجع أولئك الثلاثة إلى الإسلام - قال : وجاء الفداء من عند الخليفة أبى جعفر المنصور فخلصنا .

وقال أبو أمامة : إن رسول الله ﷺ - قال لرجل : « قل : اللهم إنى أسألك نفساً بك مطمئنة ، تؤمن بلقائك ، وترضى بقضائك ، وتقنع بعطائك » .

[يعيش أهل الجنة فى الجنة خالدين فيها أبدا] (وما هم منها بمخرجين)[1] كما جاء فى الحديث ! ! : يقال : يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تمرضوا أبدا ، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا[2] فلا تهرموا أبدا ، وإن لكم أن تقيمو افلا تظعنوا[3] أبدا »[4]

[هى الجنة . . فوق حدود الحلم مهما كان هذا الحلم وهو فوق كل

---

(١) الحجر ٤٨
(٢) تكونوا شبابا
(٣) ظعن : رحل
(٤) أخرجه مسلم

وصف ففيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . . لكن الأوصاف والأمثال تقرب الأفهام إلى شئ من ظلال الحقيقة] .

قال ابن عباس : ليس فى الدنيا مما فى الآخرة إلا الأسماء يعنى أن بين ذلك بونا عظيما وفرقا بينا فى التفاضل .

[فاللهم اجعلنا من أصحاب اليمين . . أصحاب الجنة] : **يقول تعالى** : **(وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ، فى سدر مخضود**[1] ، وطلح منضود[2] ، وظل ممدود ، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة ، وفرش مرفوعة ، إنا أنشأناهن إنشاء ، فجعلناهن أبكارا[3] ، عربا[4] أترابا[5] ، لأصحاب اليمين ، ثُلّةٌ من الأولين ، قليل من الآخرين[6])[7]

(١) سدر مخضود : شجر النبق الذى لا شوك فيه
(٢) طلح منضود : قيل الموز متراكم بعضه على بعض
(٣) أبكارا : عذارى
(٤) عربًا : متحببات إلى أزواجهن
(٥) أترابا : فى سن واحد
(٦) . من الآخرين : جماعة من أمة محمد ﷺ .
(٧) الواقعة ٢٧ – ٤٠

قال رسول الله ﷺ :

« من قرأ (قل هو الله أحد) ، حتى يختمها عشر مرات ، بنى الله له قصرا فى الجنة ، فقال عمر : إذا نستكثر يارسول الله . فقال رسول الله ﷺ : الله أكثر وأطيب »[1]

---

(١) رواه أحمد

٢ – أصحاب الأعراف

لما ذكر الله تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار ، نبه أن بين الجنة والنار حجابا ، وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة **يقول تعالى : (وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أنْ سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون ، وإذا صُرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين)**[١]

وقال ابن جرير – عن الأعراف – هو السور الذى قال الله تعالى : (فضُرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب)[٢] . والأعراف جمع عُرف وكل مرتفع عن الأرض عند العرب يسمى« عرفا » وإنما قيل لعرف الديك عرفا لارتفاعه ، وقد ذكر حذيفة أصحاب الأعراف فقال : هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار ، وقعدت بهم سيئاتهم عن الجنه ، فإذا صُرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا : (ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) ، فبينما هم كذلك ، اطلع عليهم ربك فقال لهم : اذهبوا فادخلوا الجنة ، فإنى قد غفرت لكم[٣]

---

(١) الأعراف ٤٦ – ٤٧
(٢) الحديد ١٣
(٣) تفسير الطبرى

وقال السدى : إنما سمى « الأعراف » أعرافا ، لأن أصحابه يعرفون الناس [1]

وقال سيد بن داود من حديث أبى زرعة بن عمرو : سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف قال : « هم آخر من يفصل بينهم من العباد ، فإذا فرغ رب العالمين من فصله بين العباد قال : أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ، ولم تدخلوا الجنة ، فأنتم عِتقائى ، فارعوا من الجنة حيث شئتم » . وهذا مرسل حسن . وروى الحافظ بن عساكر من حديث أنس بن مالك عن النبى ﷺ : إن مؤمنى الجن لهم ثواب وعليهم عقاب ، فسألناه عن ثوابهم فقال : على الأعراف ، وليسوا فى الجنة مع أمة محمد ﷺ . فسألناه : وما الأعراف ؟ فقال : حائط الجنة تجرى فيه الأنهار ، وتنبت فيه الأشجار والثمار .

---

(١) يعلق ابن كثير على هذه الأقوال وغيرها قائلا« الله أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة وقصاراها أن تكون موقوفه وفيه دلالة على ما ذكر

٣ – عَالَم الجنة

درجات الجنة

قال رسول الله ﷺ : « من آمن بالله ورسوله ، وأقام الصلاة وصام رمضان ، فإن حقا على الله أن يدخله الجنة ، هاجر فى سبيل الله ، أو جلس فى أرضه التى ولد فيها .

قالوا : يا رسول الله ، أفلا تخبر الناس ؟ قال : إن فى الجنة مائة درجة ، أعدها الله للمجاهدين فى سبيله ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ، ومنه تتفجرّ أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن »[1]

أعلى منزلة فى الجنة :

إن أعلى منزلة فى الجنة مكان يُقال له « الوسيلةَ » لقربه من العرش ، وهو مسكن رسول الله ﷺ من الجنة

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم

ماهى الجنة :

قال رسول الله ﷺ : ألا هل مُشَمّر[1] إلى الجنة ؟ فإن الجنة لا خَطَر لها[2] ، هى وربّ الكعبه – نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مُطَّرد ، وثمرة نَضِيجة ، وزوجة حسناء جميلةُ ، وحلل كثيرة ، ومقام فى أبد ، فى دار سليمة ، وفاكهة وخضرة وحَبْره[3] ونعمة فى محلة عالية بهية . قالوا : نعم يا رسول الله ، نحن المشمرون لها ، قال : قولوا : إن شاء الله ، فقال القوم : إن شاء الله .[4]

بناء الجنة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله ، حدثنا عن الجنة ، ما بناؤها ؟ قال :

لبنة ذهب ، ولبنة فضة : و ملاطها[5] المسك وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ،وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم لا ييأس ، ويخلد لا يموت ، لاتبلى ثيابه ولا يفنى شبابه[6]

---

(١) مشمر : ساع إلى الجنة متهيئ لها .
(٢) لا خطر لها : بمعنى لا مثل لها .
(٣) حبره : سرور ونعمة
(٤) رواه ابن ماجه فى سننه
(٥) ملاطها : طلاؤها وما خلط بها
(٦) رواه أحمد

جناتَ عدن :

هى جنات إقامة يخلد أصحاب الجنة فيها . فالعدن : الإقامة : وقيل إن فى الجنة قصرا يقال له « عدن » حوله البروج والمروج ، فيه خمسة آلاف باب ، على كل باب خمسة آلاف حِبَرة لا يدخله إلا نبى أو صديق أو شهيد . .

وقيل : جنات عدن ، مدينة الجنة فيها الرسل والأنبياء وأئمة الهدى ، الناس حولهم بعد والجنات حولها . .[1] [وفى الجنة]يجمع الله بين(من صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) وبين أحبابهم فيها من الآباء والأهلين و الأبناء ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين ، لتقرأعينهم بهم ، حتى إنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى ، من غير تنقيص لذلك الأعلى من درجته ، بل امتنانا من الله وإحسانا .

الملائكة تهنئ :

يقول تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) . . فتدخل عليهم الملائكة من هاهنا وهاهنا للتهنئة بدخول الجنة ، فعند دخولهم إياها تفد عليهم الملائكة مسلمين مهنئين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والإنعام ، والإقامة فى دار السلام ، فى جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام .

---

(١) تفسير الطبرى

جنات الفردوس :

يخبر الله تعالى عن عباده السعداء ، وهم الذين آمنوا بالله ورسله ، وصدقوهم فيما جاءوا به ، بأن لهم جنات الفردوس .

قال تعالى(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) (١)

وقيل فى معنى الفردوس إنه البستان بالرومية ، وهو البستان الذى فيه شجر الأعناب ، وهو سرة الجنة ، وربوة الجنة وأوسطها وأفضلها .

وفى الصحيحين « إذا سألتم الله الجنة (٢) فاسألوه الفردوس ، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ، ومنه تُفجرّ أنهار الجنة » .

أبواب الجنة :

يقول تعالى :

(وإن للمتقين لحُسنَ مآب ، جنات عدن مفتحةً لهم الأبواب) (٣) يخبر تعالى عن عباده المؤمنين السعداء ، أن لهم فى الآخرة لحسن مآب حيث

---

(١) الكهف ١٠٧

(٢) الجنة اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور وهى جنات كثيرة جدا كما روى البخارى فى صحيحه . وكما ورد فى حادى الأرواح لابن قيم الجوزية

(٣) ص ٤٩ . ٥٠

جنات إقامة إذا جاءوها فتحت لهم أبوابها وقد ورد فى أبواب الجنة الثمانية أحاديث كثيرة من وجوه عديدة . [1]

---

(١) ورد فى كتاب حادى الأرواح لابن قيم الجوزية :

=فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « فى الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون »

= وفى صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ قال : ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » .

= وقال إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل » رواه ابن ماجد .

= وفى صفة أبواب الجنة : قال قتادة : أبواب يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها تتكلم وتكلم ، وتفهم ما يُقال لها ، انفتحى انغلقى

= قال الفزارى لكل مؤمن فى الجنة أربعة أبواب فباب يدخل عليه منه زواره من الملائكة ، وباب يدخل عليه من أزواجه من الحو العين ، وباب مقفل فيا بينه وبين أهل النار يفتحه إذا شاء .

= ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض كانت أبوابها كذلك وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التى تحتها وكلما علت الجنة اتسعت ، فعاليها أوسع مما دونه وسعة الباب بحسب وسع الجنة .

ولهذه الأمة باب مختص بهم يدخلون منه دون سائر الأمم ففى المسند من حديث أبى هريرة عن ﷺ « أتانى جبريل فأخذ بيدى فأرانى باب الجنة الذى تدخل منه أمتى » .

= [ويقول الحديث عن أبواب الجنة إلى الحديث عن مفتاحها]قال رسول الله ﷺ « مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله »رواه أحمد .

أول من يدخل الجنة :

[جاء فى معرض تفسير آيات سورة الرعد هذا الاستشهاد بحديث نبوى رواه الإمام أحمد حول أول من يدخل الجنة]

قال رسول الله ﷺ :هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون الذين تُسَدُّ .بهم الثغور ، وتُتَّقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته فى صدره لا يستطيع لها قضاء فيقول الله تعالى لمن يشاء من ملائكته : ائتوهم فحيوهم : فتقول الملائكة : نحن سكان سمائك ، وخيرتك من خلقك ، أفتأمرنا أن نأتى هؤلاء فنسلم عليهم ؟ قال : إنهم كانوا عباداً يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، وتسد بهم الثغور ، وتتقى بهم المكاره ، ويموت أحدهم وحاجته فى صدره فلا يستطيع لها قضاء – قال : فتأتيهم االئكة عند ذلك ، فيدخلون عليهم من كل باب (سلام عليكم بما صبرتم ثم فنعم عقبى الدار) .

أدنى أهل الجنة :

عن ابن عمر قال : **قال رسول الله ﷺ** - : « **إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر فى ملكه ألفى سنة ، يرى أقصاه كما يرى أدناه . . ينظر إلى أزواجه وخدمه . وإن أفضلهم منزلة لينظر فى وجه الله كل يوم مرتين** »[1]

(١) رواه أحمد - ورد فى معرض تفسير ابن كثير لسورة القيامة .

٤ – أنهار الجنة وعيونها

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أنهار الجنة تُفجر من تحت تلال [أو من تحت جبال] المسك .

ويقول تعالى فى سورة الرعد(مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار) أى : سارحة فى أرجائها ، وجوانبها ، وحيث شاء أهلها ، يفجرونها تفجيرا ، يصرفونها كيف شاءوا وأين شاءوا

وهذه الأنهار كما يقول تعالى فى سورة محمد . .

(أنهار من ماء غير آسن) . . من ماء صاف لا كدر فيه (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) . . غاية فى البياض والحلاوة والدسامة (وأنهار من خمر لذة للشاربين) ليست كريهة الطعم والرائحة كخمرة الدنيا ، بل حسنة المنظر والطعم والرائحة والفعل .

(وأنهار من عسل مصفى) [1] . . غاية فى الصفاء وحسن اللون والطعم والريح . وفى حديث مرفوع : « لم يخرج من بطون النحل »

---

(١) محمد ١٥

وقال الرسول ﷺ : « فى الجنة بحر اللبن ، وبحر الماء ، وبحر الخمر ، ثم تشقق الأنهار منها بعد [1]

وفى الصحيح : إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ، ومنه تُفجّر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن .

[وللأنهار فى الجنة شكل آخر غير الذى نراه فى الدنيا]قال أبو بكر عبد الله من حديث لأنس بن مالك قال : لعلكم تظنون أن أنهار الجنة تجرى فى أخدود الأرض ، والله إنها لتجرى سائحة على وجه الأرض ، حافاتها قباب اللؤلؤ ، وطينها المسك الأذفر[2] .

لقد وصف الله تعالى فى أكثر من آية الجنات بأنها تجرى من تحتها الأنهار أى من تحت أشجارها وغرفها ، وقد جاء فى الحديث أن أنهارها تجرى من غير أخدود ، وجاء فى الكوثر أن حافتيه قباب اللؤلؤ والجوهر ، نسأل الله من فضله إنه هو البر الرحيم . .

وقال تعالى فى سورة الرحمن : (ولمن خاف مقام ربه جنتان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان ، فبأى الآء ربكما تكذبان ، فيهما عينان تجريان)

(فيهما عينان تجريان) أى : تسرحان لسقى الأشجار والأغصان فتثمر

---

(١) أخرجه أحمد .
(٢) الأذفر : طيب الرائحة .

من جميع الألوان . وقال الحسن البصرى : إحداهما يقال لها « تسنيم[1] » والأخرى « السلسبيل » .

ويقول تعالى : (إن المتقين فى ظلال وعيون)

يقول تعالى مخبرا عن عباده المتقين إنهم يوم القيامة يكونون فى جنات وعيون ، أى بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من ظل اليحموم ، وهو : الدخان الأسود المنتن .

يقول تعالى فى سورة الغاشية : (فى جنة عالية ، لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية)

(فيها عين جارية)أى : سارحة ، وهذه نكرة فى سياق الإثبات . وليس المراد بها عينا واحدة ، وإنما هذا جنس ، يعنى : فيها عيون جاريات

وقال أبو بكر بن أبى الدنيا من حديث أنس بن مالك :

إن رسول الله ﷺ سئل عن الكوثر فقال : « نهر أعطانيه ربى – عز وجل – فى الجنة ، أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيه طيور أعناقها يعنى كأعناق الجزُر » . فقال عمر : إنها لناعمة : قال رسول الله ﷺ : « آكلها أنعم منها » .

« وكذا رواه الترمذى وقال : حسن .

(١) قيل سمى كذلك لأن هذا الماء يجرى فوق الغرف والقصور وهى مشتقة من كلمة تسنمه أى علاه

٥ – أشجار الجنة وثمارها

عشب الجنة الزعفران ، وكثبانها المسك ، ويطوف عليهم الولدان بالفواكه فيأكلونها ، ثم يؤتون بمثلها فيقول لهم أهل الجنة :

هذا الذى أتيتمونا آنفا[١] به ، فيقول لهم الولدان : كلوا ، فإن اللون واحد ، والطعم مختلف ،[٢] وهو قول الله تعالى (وأتوا به متشابها) ، وذلك فى الآية الكريمة :

(وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رُزِقْنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون)[٣]

قبل هذه الآية ذكر الله تعالى ما أعده لأعدائه من الأشقياء الكافرين به وبرسله من العذاب ، ثم عطف بذكر حال أوليائه من السعداء المؤمنين به وبرسله ، الذين صدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة ، وهذا معنى تسمية

---

(١) آنفا : سابقا

(٢) ذكره ابن ابى حاتم من حديث يحيى بن أبى كثير

(٣) البقرة ٢٥

القرآن « مثانى » على أصح أقوال العلماء ، ،وهو أن يذكر الأيمان ويتبعه الكفر ، أو عكسه أو حال السعداء ثم الأشقياء أو عكسه ، أى ذكر الشئ ومقابله . .

وقبل أن تنعم بظلال الحديث عن أشجار الجنة تفصيلا نتحدث عن الشجرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته ، وهناك أقوال ستة فى تفسير هذه الشجرة فهى (الكرْمْ أو الحنطة أو السنبلة أو البُرّ أو النخلة أو شجرة متشعبة الغصون) .وقال الإمام ابن جرير الطبرى :

الصواب فى ذلك أن يُقال : إن الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها ، فأكلامنها ، ولا علم عندنا بأى شجرة كانت على التعيين ،لأن الله لم يضع لعباده دليلاعلى ذلك فى القرآن ولا من السنة الصحيحة : وقد قيل : كانت شجرة البر ، وقيل : كانت شجرة العنب ، وقيل : كانت شجرة التين ، وجائز أن تكون واحدة منها ، وذلك علم إذا علم لم ينفع العالم علمه به ، وإن جهله جاهلُ لم يضرَّه جهله به : والله أعلم .

وفى الصحيحين ان الرسول ﷺ قال : « ان فى الجنة شجرة يسير الراكب المجد الجواد المضمر السريع فى ظلها مائة عام لا يقطعها » ثم قرأ : (وظل ممدود)

وقد سأل أعرابى النبى ﷺ عن الجنة : فقال : فيها عنب ؟ قال :

نعم . قال : فما عظم العنقود ؟ قال : مسيرة شهر للغراب الابقع ولا يفتر[1] . [الأبقع : لونه أبيض فى أسود] وقال الطبرانى من حديث ثوبان قال رسول الله ﷺ « إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى .

ويقال تعالى (ودانيةً عليهم ظلالها وذُلّلت قطوفُها تذليلا)[2] أى قريبة إليهم – إلى أهل الجنة – أغصانها ،« إن قام – الإنسان – ارتفعت – الأغصان – بقدره ، وإن قعد تدلت له حتى ينالهاوإن اضطجع تدلت له حتى ينالها فذلك قوله تعالى « تذليلا » . ، ان أرض الجنة من وَرق ، وترابها المسك ، وأصول شجرها من ذهب وفضة ، وأفنانها[3] من اللؤلؤ الرطب والزبرجد والياقوت ، والورق والثمر بين ذلك ، فمن أكل منها قائما لم يؤذه ، ومن أكل منها قاعدا لم يؤذه ، ومن أكل منها مضطجعا لم يؤذه »[4]

ويقول تعالى : (**وزروع ونخل طَلْعُها هَضيم**)[5] ، وهو الذى لا نوى له (فى معنى هضيم) .

---

(١) رواه أحمد
(٢) الإنسان ١٤
(٣) أفنانها : أغصانها جمع فَنَنَ
(٤) كما قال مجاهد .
(٥) الشعراء ١٤٨

ويقول تعالى(فبأى آلاء ربكما تُكَذّبان ، فيهما فاكهة ونخل ورمّان) . [1]

قال ابن عباس : نخل الجنة سعفها كسوة لأهل الجنة ، منها مقطعاتهم ومنها حللهم وكَرَبها [2] ذهب أحمر ، وجذوعها زمرد أخضر ، وثمرها أحلى من العسل ، وألين من الزبد ، وليس له عَجَم [3] . ولقد أُفْرِدَ النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما .

وعلى الإجمال فثمار الجنة(وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) فهى متنوعة الألوان مما لاعين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

---

(١) الرحمن ٦٧ ، ٦٨

(٢) كرب : أصل السعف

(٣) عَجَم : نوى

٦ – مساكن الجنةَ

يقول تعالى : (**وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة** [١] فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم) [٢]

وقال رسول الله ﷺ : « إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مُجَوفة . طولها ستون ميلا فى السماء ، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم ، لا يرى بعضهم بعضا . » [٣]

وفى صفات غرف الجنة ، قال الترمذى من حديث على رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ « إن فى الجنة لغُرَفا يُرى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها . فقام أعرابى فقال : يارسول الله ، لمن هى ؟فقال : لمن طيب [٤] الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام »

---

(١) مساكن طيبة : حسنة البناء ، طيبة القرار

(٢) التوبة ٧٢

(٣) ورد فى الصحيحين .

(٤) لفظ الترمذى – كما فى تحفة الأحوذى : لمن أطاب الكلام

ويعرف الشهداء طريقهم إلى بيوتهم فى الجنة . . وفى ذلك قال مقاتل بن حيان : بلغنا أن الملك الذى كان وُكِلَ بحفظ عمله فى الدنيا يمشى بين يديه فى الجنةَ ، ويتبعه ابن آدم حتى يأتى أقصى منزل هو له ، فيه يعرف كل شئ أعطاه الله فى الجنة ، فإذا انتهى إلى أقصى منزلة فى الجنة دخل منزله وأزواجه ، وانصرف الملك عنه .

ويقول تعالى : (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد) [1].

لقد أخبر الله تعالى عن عباده السعداء أن لهم غرفاً فى الجنة ، وهى القصور الشاهقة طباق فوق طباق ، مبنيات محكمات مزخرفات عاليات وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد : قال رسول الله ﷺ : « إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة فى الجنة ، كما يتراءون الكوكب فى السماء

ويقول تعالى : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم [2] من الجنة غرفا تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) [3] أى . . لنسكننهم منازل عالية فى الجنة تجرى من تحتها الأنهار على اختلاف أصنافها من ماء وخمر ، وعسل ولبن ، يصرفونها ويجرونها حيث شاءوا ماكثين فيها أبدا لا يبغون عنها حولا .

---

(١) الزمر ٢٠
(٢) لنبوئنهم : ننزلهم ونهيئ لهم
(٣) العنكبوت

[أما أعلى مساكن الجنة منزلة] . ليعلم أن أعلى منزلة فى الجنة مكان يُقال له« الوسيلة » لقربه من العرش ، وهو مسكن رسول الله ﷺ من الجنة كما قال الإمام أحمد من حديث أبى هريرة :

إن رسول الله ﷺ قال : إذا صليتم علىّ فسلوا الله لى الوسيلة . قيل : يارسول الله وما الوسيلة ؟ قال : أعلى درجة فى الجنة ، لا ينالها إلا رجل واحد ، وأرجو أن أكون أنا هو .

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبى ﷺ يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلّوا علىّ ، فإنه من صلى علىّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا لى الوسيلة ، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة يوم القيامة »[1]

---

(١) لفظ مسلم فى كتاب الصلاة : حلت له الشفاعة

٧ – طعام وشراب أصحاب الجنة

يقول تعالى : (وتلك الجنة التى أورِثتموها بما كنتم تعملون ، لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون)[1] .

وعن أبى هريره أن أبا أمامة – رضى الله عنه – حدّث أن رسول الله – ﷺ – حدثهم وذكر الجنة – فقال : « والذى نفس محمد بيده ، ليأخذن أحدكم اللقمة فيجعلها فى فيه[2] ثم يخطر على باله طعام آخر ، فيتحول الطعام الذى فى فيه على الذى اشتهى » ثم قرأ : (وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون) .

وقال الأمام أحمد من حديث أبى هريرة : قال رسول الله ﷺ إن أدنى أهل الجنة منزلة إن له لسبع درجات ، وهو على السادسة وفوقه السابعة ، وإن له لثلثمائة خادم ، ويُغدى عليه ويراح كل يوم ثلثمائة صحفة – ولا أعلمه إلا قال : من ذهب – فى كل صحفة لون ليس فى الأخرى ، وانه لَيَلَذّ أوله كما يلذ آخره ، ومن الأ شربةَ ثلاثمائة إناء ، فى

---

(١) الأحقاف ٧٢ ، ٧٣

(٢) فيه : فمه

إناء لون ليس فى الآخر ، وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره ، وإنه ليقول : يارب ، لو أذنت لى لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم ، لم ينقص مما عندى شئ ، وإن له من الحور العين لاثنين[1] وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا ، وإن الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض .

ويقول تعالى : (**إن المتقين فى ظلال وعيون ، وفواكه مما يشتهون**[2]) أى : ومن سائر أنواع الثمار ، مهما طلبوا وجدوا . .

ويقول تعالى فى شراب الجنة :

(**يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم**)[3]

أى يتعاطون فيها كأسا من الخمر[4] لا يتكلمون عنها بكلام أو هذيان أو إثم أى فُحْش كما تتكلم به البشرية من أهل الدنيا . .ونزّه الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها ، فنفى عنها صداع الرأس ، ووجع البطن ، وإزالة العقل بالكلية ، وأخبر أنها لا تحملهم على الكلام السيئ الفارغ عن الفائدة المتضمن هذيانا وفحشا ، وأخبر بحسن منظرها وطيب طعمها ومخبرها ، فقال : (بيضاء لذة للشاربين . لا فيها غوْل ولا هم عنها يُنزَفون) وقال : (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) .

---

(١) ورد لفظ « لاثنين » فى مخطوطة الأزهر والمسند ولم يرد « لاثنين »
(٢) المرسلات ٤١ ، ٤٢
(٣) الطور ٢٣
(٤) قاله الضحاك

وقال السدى فى تفسير قوله تعالى : (ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتها الأنهار . . .)[1] إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة فبلغوا ، وجدوا عند بابها شجرة فى أصل ساقها عينان ، ، فشربوا من إحداهما ، فينزع ما فى صدورهم من غل ، فهو « الشراب الطهور » ، واغتسلوا من الأخرى ، فجرت عليهم « نضرة النعيم » ، فلم يشعثوا ولم يشحبوا بعدها أبدا[2]

ويقول تعالى : **(يُسْقَوْن من رحيق مختوم ، ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ، ومزاجه من تسنيم)** .[3] أى : يسقون من خمر من الجنة ، والرحيق من أسماء الخمر . . وفى معنى ختامه مسك عن أبى الدرداء قال : شراب أبيض مثل الفضة ، يختمون به شرابهم ، ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل إصبعه فيه ثم أخرجها ، لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها[4]

ويقول تعالى : **(وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون)**[5] وعن عبد الله ابن مسعود قال : قال لى رسول ﷺ : « انك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه ، فيخر بين يديك مشويا » .

[وزيادة فى بهجة الفائزين بالجنة تقدم لهم الأصناف التى لا نظير لها

---

(١) الأعراف ٤٣
(٢) تفسير الطبرى .
(٣) المطففين ٢٥ – ٢٧ .
(٤) تفسير الطبرى
(٥) الواقعة ٢٠ ، ٢١

من طعام وشراب فى صورة أبدع من الخيال] . .

يقول تعالى (يَطُوف عليهم وِلدان مخلدون ، بأكواب وأباريق وكأس من معين)[1] .

ويقول تعالى : (ويُطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريراْ ، قواريراْ من فضة قدرُّوها تقديرا)[2] أى : يطوف عليهم الخدم بأوانى الطعام وأوانى الفضة وأكواب الشراب وقال ابن عباس وغيره : بياض الفضة فى صفاء الزجاج ، والقوارير لا تكون إلا من زجاج . فهذه الأكواب هى من فضته ، وهى مع هذا شفافة يُرى ما فى باطنها من ظاهرها ، وهذا مما لا نظير له فى الدنيا . هى قوارير من فضة(قدروها تقديرا)على قدر ريهم ، لا تزيد عنه ولا تنقص ، بل هى معدة لذلك ، مقدرة بحسب رى صاحبها .

ويقول تعالى (ويُسْقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا ،عينا فيها تسمى سلسبيلا ، ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا)[3]

إن الأبرار يسقون فى هذه الأكواب خمرا ، فتارة يُمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد ، وتارة بالزنجبيل وهو حار ، ليعتدل الأمر ، هؤلاء

---

(١) الواقعة ١٧ ، ١٨

(٢) ، (٣) الإنسان ١٥ – ١٩

يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة ، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صِرْفا [وحول تسمية سلسبيلا] سميت بذلك لسلاسة سيلها وحِدّة جَريها ، وسلاستها فى الحَلْق . ويطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة على حالة واحدة ومخلدون عليها ؛ لا يتغيرون عنها ، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن . . . ، وإذا رأيتهم فى انتشارهم فى قضاء حوائج السادة ، وكثرتهم وصباحة وجوههم ، وحُسْن ألوانهم وثيابهم وحليهم ، حسبتهم لؤلؤا منثورا . ولا يكون فى التشبه أحسن من هذا ، ولا فى المنتظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن . [وكئوس الشراب فى الجنة مملوءة متتابعة صافية] **يقول تعالى (وكأساً دِهاقا)** —

[وماذا عن قضاء الحاجة بعد الأكل والشرب ؟ !] جاء رجل من أهل الكتاب ، فقال : يا أبا القاسم ، تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال : « نعم ، والذى نفس محمد بيده ، إن الرجل منهم ليعطى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع والشهوة . قال : فإن الذى يأكل ويشرب تكون له الحاجة ، وليس فى الجنة أذى ؟ قال : حاجة أحدهم رشح يفيض من جلودهم ، كريح المسك ، فيضمر بطنه »[1]

---

(١) رواه أحمد النسائى .

[وكأنى بأهل الجنة لا يبذلون جهدا للحصول على الطعام والشراب فهو يأتى إليهم فى أماكنهم وهم فى حال من الأُنس تقابلت أسرتهم فأصبحوا وجها لوجه يقرأ كل منهم على وجه الآخر سيماء الرضا والسعادة فتتضاعف سعادتهم][1]

يقول تعالى(فى جنات النعيم ، على سرر متقابلين ، يُطاف عليهم بكأس من معين)[2]

ويقول تعالى : (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ، متكئين على سُرُرٍ مصفوفة وزوجناهم بحور عين)[3]

---

(١) العلق

(٢) الصافات ٤٣ - ٤٥

(٣) الطور ١٩ ، ٢٠

٨ - ثياب أهل الجنة

يقول تعالى : (إن المتقين فى مقَام أمين ، فى جنات وعيون ، يلبَسون من سُنْدسٍ وإستبرق متقابلين)[١] [السندس]هو رفيع الحرير ، وإستبرق هو ما فيه بريق ولمعان وذلك كالرياش ، وما يلبس على أعالى القماش

[وثياب الجنة لا تبلى أبدا] عن أبى هريره رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من اتقى الله دخل الجنة ينعم فيها ، ولا ييأس ، ويحيا فيها فلا يموت ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه[٢]

ويقول تعالى : (عاليهم ثيابُ سندس خُضر وإستبرق وحُلُّوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا)[٣]

ويقول تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ، أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلُون

---

(١) الدخان ٥١ - ٥٣

(٢) رواه الامام أحمد .

(٣) الأنسان ٢١

فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيهاعلى الأرائك) [1]

[ويقول كعب رضى الله عنه : لو أن ثوبا من ثياب أهل الجنة لبس اليوم فى الدنيا لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم] .

---

(١) الكهف ٣١

٩ – نساء أهل الجنة

يقول تعالى فى تبشير المؤمنين بالجنة : (ولهم فيها أزواج مطهرة)[١]
قيل فى صفات أزواج المؤمنين فى الجنة إنها مطهرة من القذر والأذى ، ومن الحيض والغائط والبول والبزاق والمنى والولد ومن المأثم .

ويقول تعالى : (إن المتقين فى مَقَام أمين ، فى جنات وعيون ، يلبسون من سندس واستبرق متقابلين ، كذلك وزوجناهم بحور عين)[٢]
وقوله تعالى (كذلك زوجناهم بحور عين) ، أى : هذا العطاء مع ما قد منحناهم من الزوجات الحور العين الحسان اللائى (لم يطمثهن إنس قبلهم ولاجان) ، (كأنهن الياقوت والمرجان) ، (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)[٣] قال ابن أبى حاتم من حديث أنس – رفعه نوح – : لو أن حوراء بزقت فى بحر لُجىّ ، لعذب ذلك الماء لعذوبة ريقها .

ويقول تعالى (وحور عين ، كأمثال اللؤلؤ المكنون)[٤]

---

(١) البقرة ٢٥
(٢) الدخان ٥١ – ٥٤
(٣) الرحمن ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٠
(٤) الواقعة ٢٢ – ٢٣

[وحُور جمع حوراء حيث يشتد بياض عينها وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها مع شدة بياض الجسد ، والعِين – بكسر العين – جمع عَيْناء وهى واسعة العين .]

ويقول تعالى ، [فى صفات الحور العين] : (فيهن قاصرات الطَّرْف لم يطمثهن إنسٌ قبلهم ولا جان)[1] (فيهن) ، أى فى الفرش (قاصرات الطرف) غضيضات عن غير أزواجهن ، فلا يرين شيئا أحسن فى الجنة من أزواجهن ، وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلها : والله ما أرى فى الجنة شيئا أحسن منك ، ولا فى الجنة شيئا أحب إلى منك» فالحمد لله الذى جعلك لى وجعلنى لك . [وهن] أبكار عُرُب[2] أتراب[3] ، لم يطأهن [أحد] قبل أزواجهن من الإنس والجن . وهذه أيضا من الأدلة على دخول مؤمنى الجن الجنة

عن محمد بن سيرين قال : إما تفاخروا وإما تذاكروا ، الرجال أكثر فى الجنة أم النساء ؟ فقال أبو هريرة : أو لم يقل أبو القاسم ﷺ : « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتى تليها على أضوأ كوكب دُرّى فى السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان ، يُرى مُخّ

---

(١) الرحمن ٥٦

(٢) عُرُبٌ : جمع عَرُوب أى المتحببة إلى زوجها

(٣) أتراب : أمثال فى السن .

سُوقها[1] من وراء اللحم ، وما فى الجنة أعزب »

وهذا الحديث مُخَرّجٌ فى الصحيحين . وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « لغدوة فى سبيل الله أو رَوْحةُ خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم – أو موضع قيده – يعنى سوطه – من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا[2]، ولطاب ما بينهما ، ولَنَصيفها [3] على رأسها خير من الدنيا وما فيها » (رواه الإمام أحمد) .

---

(١) أى يرى خالص ساقها وذلك إشارة إلى بياضها الذى يرى من وراء سبعين حلة من الحرير كما فى أحاديث أخرى . .

(٢) ريحا : عطر

(٣) نصيفها : خمارها . .

ويقول مالك بن دينار – شعرا – فى الحور العين مخاطبا نفسه :

لهاك النوم عن طلب الأمانى ... وعن تلك الكوانس فى الجنان

تعيش مخلدا لاموت فيها ... وتلهو فى الخيام مع الحسان

تيقظ من منامك إن خيرا ... من النوم التهجد بالقرآن

أفضل ما فى الجنة

[الأحلام والأمانى تداعب المؤمنين الصادقين بما ينتظرهم من جزاء المتقين وثواب المجاهدين . . يحلمون بالجنات تجرى من تحتها الأنهار والحور العين وطعام وشراب الجنة الذى لا نعرف عنه إلا الأسماء ، والسعادة الخالدة فى دار الخلد ، والكثير الكثير مما لا نحصيه ولا نقدر على تصوره من المتع الحسية الراقية . . لكن . . يبقى أفضل ما فى الجنة . . تبقى أعظم الأمنيات جميعا ، وأكبر اللذات ، وأروع ثواب على الإطلاق ، تبقى **رؤية وجهه الكريم . . رؤية وجه الله تعالى وهى أعظم النعم ، ولا يحرم الله تعالى – برحمته وفضله وإحسانه – المؤمنين من رؤيته . . . ، فيشعرون بمتعة تتضاءل إلى جوارها كل متعة فى الدنيا والآخرة فاللهم اجعلنا ممن يفوزون برؤية وجهك الكريم ، واجعلنا أهلا لذلك ، واكتبنا ممن تتفضل عليهم بهذه النعمة فهى نعمة النعم اللهم . . آمين . .]**

يقول تعالى : (وجوه يومئذٍ ناضرة ، إلى ربها ناظرة)[1]

أى : وجوه حسنة بهية مشرقة مسرورة (إلى ربها ناظرة) تراه عيانا كما رواه

(١) القيامة ٢٢ ، ٢٣

البخارى فى صحيحه : « إنكم سترون ربكم عيانا »

وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله – عز وجل – فى الدار الآخرة فى الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث ، لا يمكن دفعها ولا منعها .

فى الصحيحين : أن ناسا قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : « هل تضارون فى رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب ؟ قالوا : لا . قال : « فإنكم ترون ربكم كذلك .

وفى الصحيحين عن جرير قال : نظر رسول الله ﷺ – إلى القمر ليلة البدر فقال « إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ، فإن استطعتم أن لا تُغلَبُوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها ، فافعلوا .

وقال النبى ﷺ [1] : « إذا دخل أهلُ الجنة الجنة قال : يقول الله تعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟فيقولون : ألم تُبَيِّض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟

قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحبّ إليهم من النظر إلى ربهم ، وهى الزيادة » . ثم تلا هذه الآية : (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) [2] . فالحسنى الجنة وزيادة » النظر إلى وجه الرحمن عز وجل .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) يونس ٢٦ .

وفى إفراد مسلم عن جابر فى حديثين : « إن الله يتجلى للمؤمنين يضحك » يعنى : فى عرصات [1] القيامة – ففى هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم – عز وجل – فى العرصات ، وفى روضات الجنات [وأخيرا فإن آخر دعوى أهل الجنة وأقصى ما يشغلهم هو التسبيح والحمد . . (دعواهم فيها سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)[2]]

(١) عرصات : جمع عَرصة هى كل موضع واسع لابناء فيه
(٢) يونس ١٠

الباب الثانى

النار وأصحابها

١ – طريق أصحاب النار

[أهل النار الذين هم أهلها على الحقيقة هم الذين يخلدون فيها ، ولهم أعـــدت كما قـــال تعـــالى :
أعدت للكافرين)[1]][2]

يقول تعالى : (**والذين كفروا وكذّبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**)[3]

[ويروى الحديث الشريف كيف تكون حال أصحاب النار] **قال** النبى ﷺ « **أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، لكن أقواما ا أصابتهم النار بخطاياهم ، أو بذنوبهم فأماتتهم إماته ، حتى اذا صاروا فحماً أذن فى الشفاعة** »[4]

ويقول تعالى : « **بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** »[5]

---

(١) البقرة ٢٤
(٢) ابن رجب الحنبلى
(٣) البقرة ٣٩
(٤) رواه الطبرى
(٥) البقرة ٨١

إن من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته ، وهو من وافى يوم القيامة ، وليس له حسنة ، بل جميع أعماله سيئات ، فهذا من أهل النار .

وبين أهل النار اليهود الذين كتموا صفة محمد ﷺ فى كتبهم التى بأيديهم مما تشهد له بالرسالة والنبوة لئلا تذهب رياستهم ، فاعتاضوا عن الهدى وهو نشر ما فى كتبهم من صفة الرسول وذكر مبعثه والبشارة به .. استبدلوا ذلك بالضلالة ، يقول تعالى : ﴿ **أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى العذاب بالمغفرة ، فما أصبرهم على النار** ﴾[1]

﴿ **ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة** ﴾[2]

[وأهل الربا الذين يتمادون فيه هم من أهل النار] قال تعالى : ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس** ﴾[3] يعنى لا يقومون يوم القيامة .

[وورد من أهل النار فى سورة النساء] :

﴿ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ﴾

---

(١) البقرة ١٧٥

(٢) البقرة ٢١٧

(٣) البقرة ٢٧٥

(ومن يعص الله ورسوله ويتعدَّ حدوده)

(ومن يقتلْ مؤمنا متعمدا)

(إن المنافقين فى الدَّرْك الأسفل من النار)

[والمتكبرون مثواهم جهنم]: قال تعالى :

(فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ، فلبئس مثوى المتكبرين)[1]
فبئس المقام والمكان من دار هوان ، لمن كان متكبرا عن آيات الله واتباع رسله ، وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم ، ويأتى أجسادهم فى قبورها من حرها ، وخلدت فى نار جهنم **(لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها)**[2]

ويقول تعالى « **بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ، ويوم القيامة ترى الذين كذَبوا على الله وجوههم مسودة ، أليس فى جهنم مثوىً للمتكبرين** »[3]

[ويتساءل أصحاب الجنة]:

(عن المجرمين ، ما سلككَمْ فى سقر؟[4] قالوا : لم نك من المصلين ، ولم نكُ نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذِّب بيوم

---

(١) النحل ٢٩

(٢) فاطر ٣٦

(٣) الزمر ٥٩ ، ٦٠

(٤) سقر : من أسماء النار

الدين) [1]

أى : ما عبدنا ربنا ولا أحسنا إلى خلقه من جنسنا ، وكنا نتكلم فيما لا نعلم وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا الموت .

وقال تعالى : (يل يومئذ للمكذبين ، الذين يكذبون بيوم الدين) [2]
(ويل لكل هُمزة لُمزة [3] الذى جمع مالا وعَّدده) [4]

(ومن الناس من يجادل فى اللّه بغير علم ويتبع كل شيطان مريد) [5]

[فى الآية الأخيرة] يقول الله تعالى ذَاماً لمن كذّب بالبعث ، وأنكر قدرة الله على إحياء الموتى ، مُعْرضا عما أنزل الله على أنبيائه ، متبعا فى قوله وإنكاره كلّ شيطان مريد ، من الإنس والجن ، وهذا حال أهل الضلال والبدع ، المعرضين عن الحق ، المتبعين للباطل ، يتركون ما أنزله الله على رسوله من الحق المبين ، ويتبعون أقوال رءوس الضلالة ، الدعاة إلى البدع بالأهواء والآراء ولهذا قال فى شأنهم وأشباههم : (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) أى بغير علم صحيح .

---

(١) المدثر ٤١ - ٤٦

(٢) المطففين ١٠ ، ١١

(٣) همزة لمزة : طعان بالقول معياب بالفعل

(٤) الهمزة ١ ، ٢ .

(٥) الحج ٣

[وأتباع إبليس]:

لما ذكر تعالى قصة سبأ وما كان من أمرهم فى اتباعهم الهوى والشيطان ، أخبر عنهم وعن أمثالهم ممن اتبع ابليس والهوى ، وخالف الرشاد والهدى : فقال تعالى (**ولقد صَدَّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلافريقا من المؤمنين**)[1]

وقال الحسن البصرى : لما أهبط الله آدم من الجنة ومعه حواء ، هبط إبليس فرحا بما أصاب منهما ، وقال : « **إذا أصبت من الأبوين ما أصبت ، فالذرية أضعف وأضعف** » **وكان ذلك ظنا من إبليس ، فأنزل الله عز وجل (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه ..)** فقال عند ذلك إبليس « **لا أفارق ابن آدم ما دام فيه الروح ، أعدُه وأمنّيه وأخدعه** » **فقال الله : « وعزتى لا أحجب عنه التوبة ما لم يغرغر بالموت ، ولا يدعونى إلا أجبته ، ولا يسألنى إلا أعطيته ، ولا يستغفرنى إلا غفرت له** »[2]

وقال الحسن البصرى : والله ما ضربهم – الشيطان – ولا أكرههم على شئ ، وما كان إلا غروراً وأمانى دعاهم إليها فأجابوه .

[ومن كذّب بالقرآن]:

---

(١) سبأ ٢٠

(٢) رواه ابن أبى حاتم .

قال تعالى متوعدا لمن كذب بالقرآن أو بشئ منه : (ومن يكفر به من الأحزاب ، فالنار موعده ...)[1] أى : ومن كفر بالقرآن من سائر أهل الأرض مشركيهم : أهل الكتاب وغيرهم ، من سائر طوائف بنى آدم على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وأجناسهم ممن بلغه القرآن .

[والغافلون] .

يقول تعالى : « **ولقد ذرأنا**[2] **لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون** .»[3] .

لقد هيّأ الله تعالى لجهنم كثيرا من الجن والإنس بعمل أهلها يعملون ، فإنه تعالى لما أراد أن يخلق الخلق علم ما هم علية من قبل كونهم ،[4] فكتب ذلك عنده فى كتاب قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، كما ورد فى صحيح مسلم أن الرسول ﷺ قال : « إن الله قدّر

---

(١) هود ١٧

(٢) ذرأنا : خلقنا وجعلنا

(٣) الأعراف ١٧٩

(٤) قبل وجودهم

(٥) رواه مسلم – كتاب القدر – ولفظة «كتب الله مقادير ...»

مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء »[٥].

[وهؤلاء القوم] لا ينتفعون بشئ من جوارحهم التى جعلها الله ، كما قال تعالى : (**وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ ، إذ كانوا يجحدون بآيات الله**)[١]

هؤلاء الذين لا يسمعون الحق ولا يعُونه ولا يبصرون الهدى كالأنعام السارحة التى لا تنتفع بهذه الحواس منها إلا فى الذى يعيشها من ظاهر الحياة الدنيا ، ولأن الدواب تفقه ما خلقت له إما بطبعها وإما بتسخيرها ، بخلاف الكافر فإنه إنما خلق ليعبد الله ويوحده ، فكفر بالله وأشرك به ، ولهذا من أطاع الله من البشر كان أشرف من مثله من الملائكة فى معاده ، ومن كفر به من البشر كانت الدواب أتم منه .

لقاء أهل النار :

قال تعالى : (**هذا فوج مقتحم معكم لامرحبا بهم إنهم صالوا النار ، قالوا بل أنتم لامرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار**)[٢] هذا إخبار عن قول أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى : (كلما دخلت أمة لعنت أختها)[٣] بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض .

---

(١) الأحقاف

(٢) ص ٥٩ ، ٦٠

(٣) الأعراف ٣٨

[وحوار آخر يدور بين أهل النار . بين الضعفاء والكبراء]:

يخبر الله تعالى عن تحاجِّ أهل النار فى النار ، وتخاصمهم ، وفرعون وقومه من جملتهم ، فيقول الضعفاء وهم الأتباع – للذين استكبروا – وهم : القادة والسادة والكبراء .(إنا كنا لكم تبعا[1] أى : أطعناكم فيما دعوتمونا إليه فى الدنيا من الكفر والضلال ، فهل أنتم تتحملون قسْطاً عنّا :

(وقالوا الذين استكبروا : إنا كلٌّ فيها) أى لا نتحمل عنكم شيئا ، كفى بنا ما عندنا ، وما حملنا من العذاب والنكال : (إن الله قد حكم بين العباد).. يقسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا ، كما قال تعالى : **(قال : لكل ضعف ، ولكن لا تعلمون)**[2]

---

(١) غافر ٤٧

(٢) الأعراف ٣٨

٢ – وإن منكم إلا واردها

إذا مر الخلائق كلهم على النار ، وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوى المعاصى ، بحسبهم ، نجى الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم . فجوازهم [أو سيرهم] على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التى كانت فى الدنيا ، ثم يشفعون فى أصحاب الكبائر من المؤمنين فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون ، فيخرجون خلقا كثيرا قد أكلتهم النار ، إلا دارات وجوههم – وهى مواضع السجود – وإخراجهم إياهم من النار بسبب ما فى قلوبهم من الإيمان ، فيخرجون أولا من كان فى قلبه مثقال دينار من إيمان ، ثم الذى يليه ثم الذى يليه ، حتى يخرجوا من كان فى قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان ، ثم يخرج الله من النار من قال يوما من الدهر : لا اله إلا الله وإن لم يعمل خيرا قط ، ولا يبقى فى النار إلا من وجب عليه الخلود ، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن الرسول ﷺ ولهذا قال تعالى : (**وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ، ثم ننجى الذين اتقوا ونذر[1] الظالمين فيها جثيا**)

---

(١): بمعنى نترك أو نسقط

وقال خالد بن معدان : قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة : ألم يعدنا ربنا الورود على النار؟ قال : قد مررتم عليها وهى خامدة

وقال أبو اسحاق : كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال : ياليت أمى لم تلدنى : ثم يبكى ، فيقول : مايبكيك يا أبا ميسرة ؟ فقال : أخبرنا أنا واردوها ولم نُخْبَرْ أنا صادرون[٤] عنها .[٥]

وعن الحسن البصرى قال : قال رجل لأخيه : هل أتاك أنك وارد النار؟ قال : نعم . قال : فهل أتاك أنك صادر عنها ؟ قال : لا : قال : ففيم الضحك ؟ قال : فما رآى ضاحكا حتى لحق بالله .[٦]

وقال مجاهد : كنت عند ابن العباسى فأتاه رجل يقال له أبو راشد وهو نافع بن الأزرق ، فقال له : ياابن عباسى ، أرأيت قول الله : **(وإن منكم إلا واردها ، كان على ربك حتما مقضيا)؟ قال** : أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها ، فانظر هل نصدر عنها أم لا

وقال ابن جرير من حديث عبد الله : قوله « وإن منكم إلا واردها » قال : الصراط على جهنم مثل حد السيف ، فتمر الطبقة الأولى كالبرق ، والثانية كالريح ، والثالثة كأجود الخيل ، والرابعة كاجود البهائم ، ثم يمرون

---

(٤) أى خارجون منها

(٥)، (٦) انظر تفسير الطبرى

والملائكة يقولون : اللهم سلم سلم .[1] ولهذا شواهد فى الصحيحين وغيرهما .

وعن حفصة قالت : قال رسول الله ﷺ إنى لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدرا أو الحديبية ، قالت : فقلت : أليس الله يقول : (وإن منكم إلا واردها)؟ قالت : فسمعته يقول : (ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا)[2]

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار ، إلا تحلة القسم »[3]

---

(١) رواه ابن جرير / تفسير الطبرى

(٢) رواه أحمد

(٣) تحلة القسم : بمعنى لا تمسه النار إلا مسة يسيرة مثل تحلة قسم الحالف

٣ - مكان جهنم

يقول تعالى : (كلا إن كتاب الفُجَّار لفى سِجِينٌ ، وما أدراك ما سجين) [١]

أى أن مصيرهم - الفجار - ومأواهم لفى سجين - وهو من السجن - وهو الضيق . وسجين هى تحت الأرض السابعة .

وجاء فى حديث البراء بن عازب : [عن روح الكافر]

قال رسول الله ﷺ إن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه ، معهم المسوح ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة ، اخرجى إلى سخط من الله وغضب . قال : فتفرقّ فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود [٢] من الصوف المبلول ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ، ويخرج منها كأن ريح جيفة وجدت على الأرض ، فيصعدون

---

(١) المطففين ٧ ، ٨

(٢) السفود : حديدة يشوى بها

بها ، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا ، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا ، فيستفتح له ، فلا يفتح ، ثم قرأ رسول الله ﷺ (**لا تُفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط**)فيقول الله عز وجل : « **اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى** » فتطرح روحه طرحا ، ثم قرأ : (**ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق**) فتعاد روحه فى جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسان فيقولان له : « من ربك »؟ فيقول : [هاه هاه لا أدرى : فيقولان ! « ما دينك ؟» فيقول : هاه هاه ! لا أدرى فيقولان « ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟» فيقول : هاه هاه لا أدرى فينادى مناد من السماء : « أن كذب ، فأفر شوه من النار ، وافتحوا له بابا إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف عليه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسوؤك . هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه يجئ بالشر فيقول : أنا عملك الخبيث ، فيقول : رب لا تقم الساعة .[1]

---

(١) مسند أحمد

٤ – صفة النار وطبقاتها .

سبعة أبواب :

يقول تعالى [مخبرا عن جهنم] : ﴿ لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ﴾ [١]

أخبر الله تعالى أن لجهنم سبعة أبواب كتب لكل باب منها جزء مع أتباع إبليس يدخلونه ، لا محيد لهم عنه – أجارنا الله منها – وكلّ يدخل من باب بحسب عمله ، ويستقر فى درك بقدر فعله .

وقال إسرائيل من حديث على رضى الله عنه : أبواب جهنم ، سبعة بعضها فوق بعض ، فيمتلئ الأول ، ثم الثانى ، ثم الثالث ، حتى تُملأ كلها .

وقال عكرمه : سبعة أبواب : سبعة أطباق

وقال ابن جريج : ﴿ سبعة أبواب ﴾ : أولها جهنم ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم سعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية [وفيها أبو جهل]

---

(١) الحجر ٤٤

وقال الضحاك : (لها سبعة أبواب ....) باب لليهود ، وباب للنصارى ، وباب للصابئين ، وباب للمجوس ، وباب للذين أشركوا – وهم كفار العرب – وباب للمنافقين ، وباب لأهل التوحيد .

الدرك الأسفل :

يقول تعالى : (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا)[1]

أخبر تعالى ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار يوم القيامه جزاء على كفرهم الغليظ ..

وقال أبو هريرة : الدرك الأسفل بيوت لها أبواب تطبق عليهم ، فتوقد من تحتهم ومن فوقهم .

وسئل ابن مسعود عن المنافقين فقال : يجعلون فى توابيت من نار ، فتطبق عليهم فى أسفل درك من النار .

البحر الأخضر :

قال ابن أبى حاتم من حديث الشعبى أنه سمع ابن عباس يقول : (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين)[2] وجهنم هو هذا البحر الأخضر ، تنتثر

---

(١) النساء ١٤٥

(٢) العنكبوت ٥٤

الكواكب فيه ، وتكورٌ فيه الشمس والقمر ، ثم يستوقد فيكون هو جهنم . ثم قال تعالى : (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم)[1] كقوله تعالى : (لهم من جهنم مهاد[2] ومن فوقهم غواش[3])وقال :(لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل)[4] فالنار تغشاهم من سائر جهاتهم ، وهذا أبلغ فى العذاب الحسى . وقوله : (ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) تهديد وتقريع وتوبيخ ، وهذا عذاب معنوى على النفوس .

العقبة :

قال ابن جرير من حديث ابن عمر فى قوله تعالى : (فلا أقتحم العقبه)[5] قال : جبل فى جهنم .

وقال كعب الأحبار : سبعون درجة فى جهنم

وقال الحسن البصرى : هى عقبة فى جهنم .

غى وآثام :

يقول تعالى : (فَخَلَفَ من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتَّبعوا

(١) العنكبوت ٥٥
(٢) مهاد : فرش وبسط
(٣) غواش : لحف وغطاء
(٤) الزمر ١٦
(٥) البلد ١١

الشهواتِ فسوف يلقون غياً)[1]

عن ابن عباس : (فسوف يلقون غيا) أى خسرانا .

وقال سفيان الثورى من حديث عبد الله بن مسعود : قال : (فسوف يلقون غيا) واد فى جهنم ، بعيد القعر ، خبيث الطعم .

وعن أبى عياض قال : هو واد فى جهنم من قيح ودم .

ويقول تعالى [فى سورة الفرقان] (**والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما**)

روى عن عبد الله بن عمر أنه قال : (أثاما) واد فى جهنم

وقال عكرمة : (يَلْقَ أَثَاما) أو دية فى جهنم يعذب فيها الزناة .

وقد ورد فى الحديث الذى رواه ابن جرير وغيره ، عن أبى أمامة الباهلى – موقوفا ومرفوعا – أن « غيا » و« أثاما » بئران فى قعر جهنم[2] . أجارنا الله منها . بمنه وكرمه .

---

(1) مريم ٥٩

(2) ونستدل على مدى بُعْد قعر جهنم وعمقها من الأحاديث النبوية الشريفة : فى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : إن العبد ليتكلم بالكلمة ما تبين ما فيها يزل بها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب وخرج الإمام أحمد والترمزى وابن ماجه من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوى بها فى النار سبعين خريفا »

وقال السدى : (يلق أثاما) جزاء . وهذا أشبه بظاهر الآية .

سرادق جهنم :

يقول تعالى : (إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سُرَادِقها)[1] إنا (أعتدنا) أى : أرصدنا للظالمين وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه نارا أحاط بهم سورها .

قال الإمام أحمد من حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أنه قال : (لِسُرادِق النار أربعة جُدُر ، كثافة كل جدار مثل مسافة أربعين سنة »

وقال ابن عباس : (أحاط بهم سرادقها) : حائط من نار .

وقود جهنم :

يقول تعالى (نارا وقودها الناس والحجارة)[2] أى : حطبها الذى يلقى فيها جثث بنو آدم والاصنام التى كانت تعبد وحجارة من كبريت أنتن من الجيفة .

ويقول تعالى (إذا الجحيم سعرت) قال قتادة : أو قدت ، وإنما

---

(١) الكهف ٢٩

(٢) التحريم ٦

يسعرها غضب الله وخطايا بنى آدم .

ويقول تعالى : (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم)[1] أى وقودها وحطبها

شدة نار جهنم :

يقول تعالى : (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون)[2]

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (نار بنى آدم التى يوقدون بها جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم فقالوا : يارسول الله إن كانت لكافية قال : إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزا)[3]

وقال رسول الله ﷺ أن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لمن له نعلان وشرا كان من نار ، يغلى منهما دماغه كما يغلى المرْجل ، لا يرى أن أحدا من أهل النار أشد عذابا منه ، وانه أهونهم عذابا[4] .

وقال الشاعر :

عمرك بالحْمية أفنيته مَخَافة البارد والحار
وكان أولى بك أن تتقى من المعاصى حَذَرَ النار

---

(١) الأنبياء ٩٨

(٢) التوبه ٨١

(٣) أخرجاه فى الصحيحين من حديث مالك

(٤) رواه الشيخان

٥ – أهوال جهنم

زدناهم عذاباً :

يخبر تعالى عن شأن المشركين يوم معادهم فى الدار الآخرة ، لا يؤخر عنهم ، بل يأخذهم سريعا من الموقف بلا حساب ، فإنه إذا جئ بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك ، فيشرف عُنُق منها على الخلائق ، وتزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه ، فتقول : إنى وكلت بكل جبار عنيد الذى جعل مع الله إلها آخر ، وبكذا وكذا ، وتذكر أصنافا من الناس ، كما جاء فى الحديث . ثم تنطوى عليهم ، وتتلقطهم من الموقف كما يتلقط الطائر الحب .

قال الله تعالى : (إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ، وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا ، لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبوراً كثيرا)[١]

وقال تعالى : (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها[٢] ولم يجدوا عنها مصرفا)[٣]

---

(١) الفرقان – ١٤

(٢) علموا أنهم داخلوها

(٣) الكهف ٥٣

ويقول تعالى (زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون)[1] أى عذابا على كفرهم ، وعذابا على صدهم عن اتباع الحق وهذا دليل على تفاوت الكفار فى عذابهم ، كما يتفاوت المؤمنون فى منازلهم فى الجنة ودرجاتهم .

وعن عبد الله فى قول الله : (زدناهم عذابا فوق العذاب) قال : زيدوا عقارب أنيابها كالنخل الطوال[2]

وعن ابن عباس أنه قال : هى خمسة أنهار فوق العرش يعذبون ببعضها بالليل وببعضها بالنهار .

ظلال جهنم :

يقول تعالى (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ، فى سموم وحميم ، وظل من يحموم ، لا بارد ولا كريم)[3] فى أى شئ هم أصحاب الشمال ؟ هم فى هواء حار وماء حار وظل الدخان الأسود . وهذه كقوله تعالى : (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ، انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شُعَب . لا ظليل ولا يغنى من اللهب . انها ترمى بشرر كالقصر

(١) النحل ٨٨
(٢) أخرجه الطبرى عن طريق أب معاوية
(٣) الواقعة ٤١ - ٤٣
(٤) أصحاب الشمال : أصحاب النار

كأنه جِمٰلَتٌ[1] صُفْرٌ[2]

يقال للكفار يوم القيامه انطلقوا الى لهب النار إذا ارتفع وصعد معه دخان ، فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب (لا ظليل ولا يغنى من اللهب).. فظل الدخان المقابل لا يغنى من اللهب . لا يقيهم حر اللهب ، يتطاير الشرر من لهبها كالقصر.. كالابل السود..

[ما ظل الجحيم إلا قطعة مروعة من الجحيم ، فلا مهرب ولا بديل وعلى الجانب الآخر من الصوره نلتقط أنفاسنا الخائفة من ظلال جهنم وننتقل إلى التمنى فنحلم بظلال الجنة ، فنعيد حسابات حياتنا وخطواتنا وغاياتنا واضعين نصب أعيننا صورتى الجنه والنار][3]

يقول تعالى [عن حياة أصحاب اليمين فى الجنة]: « وظل ممدود »[4]

وعن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ « ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة ، اقرأوا إن شئتم (وظل ممدود)[5]

---

(١) جمالة : جمع جمال ، جمع الجمع : أى الابل
(٢) المرسلات ٢٩ - ٣٣
(٣) المؤلف
(٤) الواقعة ٣٠
(٥) رواه أحمد والبخارى وغيرهما

التعذيب بالسلاسل :

إذا أعطى أحد الأشقياء كتابه فى العرصات بشماله ، فحينئذٍ يندم غاية الندم ، فيقول (ياليتنى لم أوت كتابيه ، ولم أدر ما حسابيه ، ياليتها كانت القاضية)[1] يتمنى موتة لا حياة بعدها ، ولم يكن شئ فى الدنيا أكره إليه من الموت .. [يخاطب الشقى نفسه]: لم يدفع عنى مالى ولا جاهى عذاب الله وبأسه ، بل خلص الأمر إلى وحدى ، فلا معين ولا مجير ، فعندها يقول الله عز وجل : (خذوه فغُلُّوه ، ثم الجحيم صَلُّوه)[2]

يأمر الزبانية أن تأخذه عنفا من المحشر ، فتغله .. وتضع الأغلال فى عنقه ثم تورده إلى جهنم فتغمره فيها يقول تعالى : (ثم فى سلسلة ذَرْعُها سبعون ذراعا فاسلكوه)[3]

قال كعب الأحبار : كل حلقة منها قدر حديد الدنيا .

وقال العوفى عن ابن عباس : يسلك فى دبره حتى يخرج من منخريه ، حتى لا يقوم على رجليه

---

(١)(٢)(٣) الحاقه - ٣٢

ويقول تعالى فى سورة غافر :

(إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون ، فى الحميم ثم فى النار يُسجرون)[1]

[الأغلال فى أعناق المكذبين بآيات الله] وبأيدى الزبانية يسحبونهم على وجوههم ، تارة الى الحميم وتارة إلى الجحيم .

قال ابن أبى حاتم من حديث يعلى بن مُنْية – رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ قال : ينشئ الله سحابة لأهل النار سوداء مظلمة ، وُيقال : ياأهل النار ، أى شئ تطلبون ؟ فيذكرون بها سحاب الدنيا فيقولون : نسأل بَرد الشراب فتمطرهم أغلالا تزيد فى أغلالهم ، وسلاسل تزيد فى سلاسلهم وجمرا يُلهبُ النار عليهم[2] هذا حديث غريب

السجن :

يقول تعالى :

(وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أى مستقرا ومَحْصرا وسجنا لا محيد لهم عنه .

---

(١) غافر ٧١ ، ٧٢

(٢) أخرجه السيوطى والطبرى وابن مردويه

كلما نضجت جلودهم :

يخبر الله تعالى عما يعاقب به فى نار جهنم من كفر بآياته وصد عن رسله ، فقال : (إن الذى كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا)[1] أى ندخلهم نارا دخولا يحيط بجميع أجزائهم ، ثم أخبر عن دوام عقوبتهم ونكالهم ، فقال (كلما نضجت جلودهم بدلناهم هم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) وقال يحيى بن زيد الحضرمى : يجعل للكافر مائة جلد ، بين كل جلدين لون من العذاب[2]

وقال الإمام أحمد من حديث ابن عمر عن النبى ﷺ قال : « **يَعْظُم أهل النار فى النار ، حتى إذا بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه[3] مسيرة سبعمائة عام ، وإن غلظ جلده سبعون ذراعا ، وان ضرسه مثل أحد** »[4]

الكالحون :

يخبر الله تعالى أنه إذا نفخ فى الصور نفخة النشور ، وقام الناس من القبور لا تنفع الأنساب يومئذٍ ، ولا يرثى والد لولده ، ولا يسأل القريب قريبه وهو يبصره ، ولوكان عليه من الأوزار-ماقد أثقل ظهره ، وهو أعز الناس عليه –كان فى الدنيا ، ما التفت اليه ولا حمل عنه – وزن جناح بعوضة . فمن رجحت حسناته على سيئاته ولو بواحدة [فأولئك هم]

(١) النساء ٥٦
(٢) رواه ابن أبى حاتم
(٣) عاتقه : مجمع ما بين العضد والكتف
(٤) تفرد به أحمد

الذين فازوا بما طلبوا ، ونجوا من شر ما منه هربوا ، وأما من ثقلت سيئاته على حسناته فأولئك خابوا وهلكوا وباءوا بالصفقة الخاسرة (تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون)[1] يعنى عابسون[2]

وقال الإمام أحمد من حديث أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : (وهم فيها كالحون) قال : تشويه النار فتقَلَّصُ[3] شفته العليا حتى تبلغ وَسَطَ رأسه . وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سُرَّته »[4]

عذاب الصهر والمطارق :

قال تعالى : (يُصبّ من فوق رءوسهم الحميم ، يُصْهر به ما فى بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد)[5]

وعن أبى سعيد عن الرسول الله ﷺ قال « لو أن مقمعا[6] من حديد وضع فى الأرض ، فاجتمع له الثقلان[7] ما أقلوه[8] من الأرض » (راوه أحمد)

وقال الإمام أحمد من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ لو ضُرِب الجبل بِمقْمع من حديد ، لتفتت ثم عاد كما كان ، ولو

---

(١) المؤمنون ١٠٤
(٢) عن ابن عباس
(٣) أصلها تتقلص
(٤) رواه الترمذى وقال حسن غريب
(٥) الحج ١٩ - ٢١
(٦) مقمعا : مطرقة
(٧) الثقلان : الانس والجن
(٨) أقلوه : حملوه

أن دلوا من غسّاق يُهْراق فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا .

[هى النهاية أيها الكافرون ولا مهرب] فلو ذهبتم هاربين يوم القيامة لردتكم الملائكة والزبانية بإرسال اللهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا ، ولهذا قال تعالى : (**يُرْسَلُ عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران**) [1]

الأبواب المغلقة :

يقول تعالى (وما أدراك ما الحطمة ، نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة ، إنها عليهم مؤصدة ، فى عَمَد ممددة)

الحطمة اسم من أسماء النار وصفة لها لأنها تحطم ما فيها وعن ابن عباس : فى عمد ممددة يعنى الأبواب هى الممدودة .. وقد أدخلهم فى عَمَد فمدت عليهم بعماد[2] وفى أعناقهم السلاسل فسدّت بها الأبواب .

حرق الجلد : [3]

يقول تعالى « سأصليه سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تبقى ولا تذر ،

---

(١) الرحمن ٣٥ والحديث موجه إلى معشر الجن والانس

(٢) عماد : أبنية رفيعة

(٣) يسبب أقسى الآلام لتجمع روافد الأعصاب عند الجلد

لوّاحة للبشر ، عليها تسعة عشر »[٣]

يقول تعالى متوعدا لهذا الخبيث الذى أنعم الله عليه بنعم الدنيا ، فكفر بأنعم الله .. (سأصليه سقر) أى : سأغمره فيها من جميع جهاته ، وهى (لا تبقى ولا تذر) أى تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم ثم تبدّل غير ذلك ، وهم فى ذلك لا يموتون ولا يحيون .

وقوله : (لواحة للبشر) أى : للجلد ، تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل[١] وقال ابن عباس : تحرق بشرة الإنسان .

وقال قتادة : لواحة للبشر : أى حراقة للجلد . وقوله تعالى : (عليها تسعة عشر) أى من مقدمى الزبانية ، عظيم خَلْقَهم ، غليظ خُلُقهم ويقول تعالى : (كلا إنها لظى ، نزاعة للشوى)[٢] فتقطع النار عظامهم ، ثم يُجَدّد خلقهم وتبدل جلودهم فالنار تدعو إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها ، وقدر لهم أنهم فى الدنيا يعملون عملها ، فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ، ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب . وذلك أنهم كما قال الله – عز وجل – كانوا ممن (أدبر وتولى) أى كذب بقلبه ، وترك العمل بجوارحه ، و(جمع فأوعى) جمع المال بعضه

(١) قالها أبو رزين

(٢) المعارج ١٥ ، ١٦

على بعض ومنع حق الله منه من الواجب عليه فى النفقات ومن إخراج الزكاة .

لا موت ولا حياة :

يقول تعالى (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون)[1]

ومالك هو خازن النار .. ينادى الأشقياء : يا مالك ليقبض الله أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه ، فإنهم كما قال تعالى : (لا يقضى عليهم فيموتوا ، ولا يخفف عنهم من عذابها)[2]

وقال تعالى (ويتجنبها الأشقى ، الذى يصلى النار الكبرى ، ثم لا يموت فيها ولا يحيا)[3]

فلما سألوا أن يموتوا مكث مالك ألف سنة[4] ثم أجابهم : إنكم ماكثون فلا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها

---

(١) الزخرف ٧٧

(٢) فاطر ٣٦

(٣) الأعلى ١١ - ١٣

(٤) كما قال ابن عباس .

أعظم عذاب أهل النار :

[كما أن أعظم نعم الجنة هى رؤية الله عز وجل فأنه أعظم عذاب يلقاه أصحاب النار هو منعهم من رؤيته تعالى]

يقول تعالى : (**كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم**)[1] فهم يوم القيامة محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم .

وقال الإمام الشافعى : هذه الآية دليل على أن المؤمنين ، يرونه — عز وجل — يومئذ .

وقال ابن جرير من حديث الحسن قال : يكشف الحجاب ، فينظر إليه المؤمنون والكافرون ، ثم يحجب عنه الكافرون وينظر إليه المؤمنون . كل يوم غدوة وعشية .[2]

---

(١) المطففين ١٥ ، ١٦

(٢) تفسير الطبرى وقال ابن رجب الحنبلى فى كتابه التخويف من النار : كما حجبت قلوبهم فى الدنيا عن الله حجبوا فى الآخرة عن رؤيته .

٦ - شراب وطعام أهل النار

المهل والزقوم :

يقول تعالى (وإن يستغيثوا يُغاثوا بماء كالمُهْل[1] يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا)[2]

وقيل [فى ماء جهنم].. هو كالدم والقيح ، وهو ماء أسود ، وهو كل شئ أذيب . وهذه الأقوال ليس شئ منها ينفى الآخر ، فأن المهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها ، فهو أسود منتن ، غليظ حار ولهذا قال : (يشوى الوجوه) من حره . فإذا أراد الكافر أن يشربه وقرّبه من وجهه شواه حتى يسقط جلد وجهه فيه .

عن أبى سعيد الخدرى ، عن الرسول ﷺ أنه قال : لا ماء كالمهل - قال : كعكر الزيت فإذا قرّبه إليه ، سقطت فروة وجهه فيه[3]

كما قال تعالى فى الآية الأخرى (**كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء**

---

(١) المهل : عكر الزيت

(٢) الكف ٢٩

(٣) رواه أحمد

حميا فقطع أمعاءهم)

وقال تعالى (**تسقى من عين آنيه**) أى حارة ثم قال (**ليس لهم طعام إلا من ضريع**)

قيل : هو شجر من نار

وقيل : هو الزقوم أو هو نبت يقال له الشبرق وهو سم وقال تعالى (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم)[1]

وقال مجاهد (عن هذه الشجرة) لو وقعت منها قطرة فى الأرض لأفسدت على أهل الأرض معايشهم .

وقد يحتمل أن يكون المراد بشجرة الزقوم شجرة واحدة معينة ، كما قال بعضهم من أنها شجرة تمتد فروعها إلى جميع محال جهنم كما أن شجرة « طوبى » ما من دار فى الجنة إلا وفيها منها غصن .

وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك جنس شجر يُقال له الزقوم يقول تعالى (**أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم إنا جعلناها فتنة للظالمين ، إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم ، طلعُها كأنه رءوس الشياطين ، فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ، ثم إن عليها لشوبا من حميم ، ثم إن**

(٤) محمد ١٥ ، حميا : حارا شديد الحر.

(٥) الغاشية ٥

(١) الدخان ٤٣ ، ٤٤ .

مرجعهم لإلى الجحيم حين ذكرت شجرة الزقوم ، افتن بها أهل الضلالة ، وقالوا صاحبكم ينبئكم أن فى النار شجرة ، والنار تأكل الشجرة فأنزل اللّه عز وجل :(**إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم**) غُذيت من النار ، ومنها خلقت [1] فأصل منبتها فى قرار النار و(**طلعها كأنه رءوس الشياطين**) تبشيع وتكريه لذكرها ، وقيل المراد بذلك ضرب من الحيات ، رءوسها بشعة المنظر.

قال ابن أبى حاتم من حديث سعيد بن جبير : إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم ، فأكلوا منها فاختلست جلود وجوههم ، فلو أن مارا يمر بهم يعرفهم لعرف وجوههم فيها ، ثم يصب عليهم العطش ، فيستغثيون فيغاثون بماء كالمهل – وهو الذى قد أنتهى حره – فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حرّه لحوم وجوههم التى قد سقطت عنها الجلود ، ويصهر ما فى بطونهم ، فيمشون تسيل أمعاؤهم وتتساقط جلودهم ، ثم يضربون بمقامع [2] من حديد ، فيسقط كل عضو على حاله ، يدعون بالثبور. [3]

ثم .. إن مردهم بعد هذا الفصل لإلى نار تتأجج ، وجحيم يتوقد ، وسعير يتوهج ، فتارة فى هذا وتارة فى هذا !!

---

(١) تفسير الطبرى

(٢) مقامع : مطارق

(٣) الثبور : الهلاك

شرب الهيم :

يقول تعالى (**فشاربون شرب الهيم**) حتى يأكلو من شجر الزقوم ، حتى يملئوا منها بطونهم ، (فشاربون عليه من الحميم ، فشاربون شرب الهيم) شرب الإبل المواض ، تمص الماء مصاولا ترتوى .

قال السدى : الهيم : داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداحتى تموت ، فكذلك أهل جهنم لا يَرْوَون من الحميم أبدا ..

الغسلين :

إن لله على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئا ، وللعباد بعضهم على بعض حق الإحسان والمعاونة على البر والتقوى ،ولهذا أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وقبض النبى – ﷺ وهو يقول : « الصلاة ، وما ملكت أيمانكم » [أما من] لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ، ولا ينفع خلقه ويؤدى حقهم (**فليس له اليوم ها هنا حميم ، ولا طعام إلا من غسلين**)[1] .. ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله ، لا حميم – وهو القريب – ولا شفيع يطاع ، ولا طعام له هاهنا إلا من غسلين [وقيل فيه] هو من شر طعام أهل النار ، وهو شجرة فى جهنم ، أو هو الزقوم ، أو هو صديد أهل النار والدم والماء يسيل من لحومهم .

(١) الحاقه ٣٥ ، ٣٦

طعاما ذا غُصّةَ :

يقول تعالى : (**إن لدينا أنكالا وجحيما ، وطعاما ذا غُصّةٍ وعذَابا أليما**)[1] أى : لدينا – للمكذبين – القيود والسعير المضطربة و (طعاما ذا غصة) ينشب فى الحلق فلا يدخل ولا يخرج .

ماء صديد :

من وراء الجبار العنيد جهنم هى له بالمرصاد يسكنها مخلدا يوم المعاد ، ويعرض عليها غدوا وعشيا الى يوم التناد ، (ويسقى من ماء صديد)[2] أى فى النار ليس له شراب إلا من حميم أو غسّاق ، فهذا فى غاية الحرارة ، وهذا فى غاية البرد والنتن ، وله من بعد هذه الحال عذاب مؤلم أغلظ من الذى قبله وأدهى وأمر

حميم وغسّاق :

يقولُ تعالى (وإن للطاغين لشرَّ مآب ، جهنم يصلونها فبئس المِهَاد ، هذا فليذوقوه حميم وغَسَّاق ، وآخرُ من شكله أزواج) .

الحميم هو الحار الذى قد انتهى حره ، وأما الغساق فهو ضده ، وهو البارد الذى لا يستطاع من شدة برده المؤلم ، وأشياء من هذا القبيل .

---

(١) المزمل ١٢ ، ١٣

(٢) ابراهيم ١٦

وعن أبى سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال « لو أن دَلْوا من غَسَّاقٍ يهراق فى الدنيا ، لأنتن أهل الدنيا »[٢]

وقال كعب الأحبار : غسَّاق : عين فى جهنم ، يسيل إليها حُمَةُ كل ذات حمة[٣] من حية وعقرب وغير ذلك ، فيستنقع ، فيؤتى بالآدمى فيغمس فيها غمسة واحدة ، فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ، ويتعلق جلده ولحمه فى كعبيه وعقبيه ، ويُجَر لحمه كما يجر الرجل ثوبه[٤]

---

(٢) رواه أحمد والترمذى وابن جرير

(٣) حمة : سم العقرب

(٤) رواه ابن حاتم

٧ – كسوة أهل النار

أول كسوة :

قال الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : أول من يُكْسَى حُلَّةً من النار إبليس ، فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه ، وذريته من بعده ، وهو ينادى : ياثبوراه [١]، وينادون : ياثبورهم حتى يقفوا على النار ، فيقول : ياثبوراه . ويقولون : ياثبورهم فيقال لهم : لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا ، وادعوا ثبورا كثيرا .

لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة .[٢]

ثياب من نار :

قال تعالى : (**هذا خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قُطعت لهم ثياب من نار يُصب من فوق رءوسهم الحميم ، يُصْهَرُ به ما فى بطونهم والجلود**)[٣] ثبت فى الصحيحين عن أبى ذر أنه كان يقسم قسما أن هذه

---

(١) ياثبوراه : من الثبور : الهلاك والخسران

(٢) هم البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى – والنسائى وابن ماجه

(٣) الحج ١٩ ، ٢٠

الآية : (هذان خصمان اختصموا فى ربهم) نزلت فى حمزة وصاحبيه ، وعتبةَ وصاحبيه ، يوم برزوا فى بدر .

وقول مجاهد وعطاء : أن المراد بهذا الكافرون والمؤمنون يشمل الأقوال كلها ، وينتظم فيه قصة يوم بدر وغيرها وقوله (قطعت لهم ثياب من نار) أى : فصلت لهم مقطعات من نار ، وقيل[1] من نحاس وهو أشد الأشياء حرارة إذا حمى .

وقال ابن جرير من حديث أبى هريرة ، عن النبى ﷺ قال : « إن الحميم يُصَبُّ على رؤسهم ، فينفذ إلى الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه ، فيسلتَ[2] ما فى جوفه ، حتى يبلغ قدميه ، وهو الصهر[3] ، ثم يعاد كما كان »[4]

ثياب من قطران :

يقول تعالى (وترى المجرمين يومئذ مَقرَّنين فى الأصفاد ، سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار)[5] ترى المجرمين وهم الذين أجرموا بكفرهم وفسادهم (مقرنين) أى : بعضهم إلى بعض ، قد جمع بين النظراء أو الأشكال منهم كل صنف إلى صنف [فى القيود] وثيابهم التى يلبسونها

---

(١) قول سعيد بن جبير
(٢) السلت : القطع
(٣) الصهر : الإذابه
(٤) رواه الترمذى كذلك وقال حسن صحيح
(٥) ابراهيم ٤٩ ، ٥٠

عليهم من قطران ، وهو الذى تطلى به الابل ، وهو ألصق شئ بالنار . وفى حديث القاسم ، عن أبى أمامه رضى الله عنه قال : : قال رسول الله ﷺ **« النائحة إذا لم تتب تقف فى طريق بين الجنة والنار ، سرابيلها من قطران ، وتغشى وجهها النار »**[1]

(١) ورد نفس المعنى فى حديث آخر طويل انفرد به مسلم .

٨ - حديث أهل النار مع أهل الجنة

يقول الله تعالى : (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم ، فأذّن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين)[١]

يخبر تعالى بما يخاطب أهل الجنة أهل النار إذا استقروا فى منازلهم ، وذلك على وجه التقريع والتوبيخ ، كما أخبر تعالى فى سورة « الصافات » عن الذى كان له قرين من الكفار : (فاطلع فرآه فى سواء الجحيم قال : تالله إن كدت لتردين ، ولو لا نعمة ربى لكنت من المحضرين ، أفما نحن بميتين ، إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين)[٢] ينكر عليه مقالته التى يقولها فى الدنيا ، ويقرّعه بما صار إليه من العذاب والنكال .

وكذا تقرعهم الملائكة يقولون لهم : (هذه النار التى كنتم بها تكذبون ، أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ، اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون)[١] وكذلك قرع رسول الله ﷺ

---

(١) الأعراف ٤٤

(٢) الصافات ٥٤ - ٥٩

قبالة القَليب [وهو بئر ببدر] يوم بدر ، فنادى : « يا أبا جهل بن هشام ، ويا عتبة بن ربيعة ، وياشيبة بن ربيعة – وسمى رءوسهم – هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا وقال عمر : يا رسول الله ، تخاطب قوما جيفوا ؟ فقال : والذى نفسى بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا »[1]

---

(١) رواه مسلم والبخارى

خرج البيهقى وغيره من حديث على بن أبى سارة عن ثابت ، عن أنس عن النبى ﷺ « أن رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار ، فيناديه رجل من أهل النار : يا فلان هل تعرفنى ؟ فيقول : لا والله لا أعرفك من أنت ؟ فيقول : أنا الذى مررت بى فى دار الدنيا فاستسقيتنى شربة ماء فأسقيتك قال : قد عرفت ، فاشفع لى بها عند ربك ، قال : فيسأله الله عز وجل فيقول : يارب شفعنى فيه ، فيؤمر به فيخرج من النار

الموحدون بين الجنة والنار

يقول تعالى : (إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما غظيما)[1]

قال الإمام أحمد من حديث أبي ذر قال : « أتيت رسول الله ﷺ فقال : ما من عبد قال « لا إله الا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟»

قال : وإن زنى وإن سرق .

قلت : وإن زنى وأن سرق ؟ قال : وأن زنى وأن سرق ثلاثا ، ثم قال في الرابعة : على رغم أنف أبي ذر ! قال : فخرج أبو ذر وهو يجر إزاره وهو يقول : وإن رغم أنف أبي ذر[2]

ويقول تعالى (فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ماشاء ربك إن ربك فعال لما يريد)[3]

في هذه الآيات يحتمل أن المراد بما دامت السماوات والأرض الجنس ، لأنه لا بد في عالم الآخرة من سماوات وأرض كما قال تعالى :

---

(١) النساء ٤٨

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم

(٣) هود ١٠٦ ، ١٠٧

(يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات)[1] وقوله تعالى : (إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) كقوله تعالى : (النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله ، إن ربك حكيم عليم)[2]

وقد اختلف المفسرون فى المراد من هذا الاستثناء ، على أقوال كثيرة ..

إن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ، فقد يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين ، من الملائكة والنبيين والمؤمنين ، حين يشفعون فى أصحاب الكبائر ، ثم تأتى رحمة أرحم الراحمين ، فتخرج من النار من لم يعمل خيرا قط ، وقال يوما من الدهر : لا إله إلا الله . كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضة عن رسول الله ﷺ بمضمون ذلك ، ولا يبقى بعد ذلك فى النار إلا من وجب عليه الخلود فيها ولا محيد له عنها ، وهذا الذى عليه كثير من العلماء قديما وحديثا فى تفسير الآية الكريمة السابقة [إن الله غفور رحيم]

قال أنس بن مالك : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **والذى نفسى بيده ، لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ، ثم استغفرتم الله لغفر لكم ، والذى نفسى محمد بيده ، لو لم تخطئوا لجاء الله بقوم يخطئون ، ثم يستغفرون الله فيغفر لهم** »[1]

---

(١) ابراهيم ٤٨

(٢) الأنعام ١٢٨

(٣) تفرد به أحمد

التعوذ من النار

قال الشيخ أبو سليمان الدارانى : إنى لأخرج من منزلى ، فما يقع بصرى على شئ إلا رأيت لله على فيه نعمة ، ولى فيه عبرة ..

وقال الحسن البصرى : تفكر ساعة خير من قيام ليلة ..

وقال عمر بن عبد العزيز : الفكرة فى نعم الله أفضل العبادة ..

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتهجده .

يقول تعالى فى سورة آل عمران : (**إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار**)[1] .

وفى الصحيح من حديث ابن عباس قال : بت عند خالتى ميمونة ، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد ، فلما كان ثُلُث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال : (**إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب**)... ثم قام فتوضأ واستن فصلى إحدى

---

(١) الآيات ١٩٠ ، ١٩١

عشرة ركعة ثم أذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى بالناس الصبح .

وكذا رواه مسلم .

وقال ابن مَرْدُويه من حديث ابن عباس : إن النبى ﷺ خرج ذات ليلة بعد ما مضى ليل ، فنظر إلى السماء ، وتلاهذه الآية : (إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) إلى آخر السورة ، ثم قال : « اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى سمعى نورا ، وفى بصرى نورا ، وعن يمينى نورا ، وعن شمالى نورا ، ومن بين يدى نورا ، ومن خلفى نورا ، ومن فوقى نورا ، ومن تحتى نورا ، وأعظم لى نورا يوم القيامة »

وهذا الدعاء[1] ثابت فى بعض طرق الصحيح [**وخشية الله تعالى والبكاء خوفا من عذابه هو طريق للمغفرة**] **قال تعالى : (إن الذين يخشون ربهم بالغيب ، لهم مغفرة وأجر كبير)** [2]

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الصلاة

(٢) يقول ابن رجب الحنبلى فى « التخويف من النار » : تكاثرت النصوص فى أن البكاء من خشية الله يقتضى النجاة منها ، والبكاء خوفا من نار جهنم هو البكاء من خشية الله ، لأنه بكاء من خشية عقاب الله وسخطه والبعد عنه وعن رحمته ، وجواره ودار كرامته : روى أبو هريرة عن النبى ﷺ قال : « لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع » خرجه النسائى والترمذى وقال : صحيح .

المحتوى

رقم الايداع ٨٦/٤٣٣٧